

رواية سردية حقيقية.

عصير أحمر بليلة احتفال

بحبر: نورة طاع الله

i

" الاهداء "

الى الذي قتل ولا زال يقتل كل وقت.. الى من سلبت
منه الحرية.. الى من هاجر بحثا عن مأوى رحيم..
الى من بقي في قلب الخطر والحرب.. الى من لم
نستطع مساندته ومساعدته بالجهاد والوقوف معه
جنباً بالجنب وبالجوار.. الى السوري الذي نحن
معه بالقلب الذي احترق لاحتراقه.. الذهن والفكر
الذي لا ينساه.. اللسان الذي لا يتوقف عن الدعاء له
وذكره.. والعين التي تدمع كلما تألم ونطق الأه
التي تميته وتميتنا عجزاً وألماً.. اليد التي تحمل
القلم.. يدي التي حملت القلم ودونت بنقل أحد أبنائه
الجزء البسيط جداً وقصة من مئات وألاف
القصص المحزنة المدمرة للنفس المستوحاة من
الواقع الذي لم أكن فيه لكن بمشاعري وأحاسيسي
ومخيلتي وانسانيتي عشت وكنت بقلب الواقع
والحدث... اليك يا سوريا.. اليك يا سوري يا أخي

أهدي روايتي السردية هته " عصير أحمر بليلة
احتفال".

" نورة طاع الله

يسئلونني عن أحلامي...قلت أين مأواها

...سئلوني عن أمالي...قلت تبخروا بليلة احتفال...

قالوا من أنتي...جاوبت بمن أنا؟...من أكون؟...

...أنا هنا أم هناك....بالغرب أم الشرق...بالجنوب
أم الشمال..

أنا أين ؟ ...بالأفق...بالأعلى...فوق اللون الأزرق
الذي فوق رأسي...أم تحت الذي تحت قدامي...

أين تسكنين؟...تحت التراب أريد أن أكون..أقيم
...أسكن..

مدي يدكي...أمسكي وجبة الطعام...لا...مضربة أنا
عن الحياة..

ابنة من تكونين؟..ابنة القهر والألم..المعاناة
والحزن أنا..

...ما اسمك؟...اسمي اليتيمة الوحيدة..التائهة
الغريبة الحزينة...

...اسمي لا وجود له بهذه الدنيا...ميتة أنا فكيف
يكون لي اسم ..

.. أنا المرحومة أنا.. أنا المتوفية أنا.. أنا المجهولة
المفقودة أنا...

بيتكم أين ؟..منزلنا دفن مع أهله..رحل
برحيلهم..و غاب بغيابهم..ومات بموتهم..ودفن
بدفنهم...

..أصدقائك؟ ..أصدقائي
الرصيف...التشرد...التيهان..التسول..الشوارع
الدمرة والأحياء المحرقة..

رفيقك ؟ ..رفيقي..رفقائي..الدموع..نطق
الأه..الوجع والحزن و...

أرضك أين ؟...وطنك من ؟ ...موطني سوريا
اليتيمة..سوريا الحزينة..سوريا الأرملة..سوريا
المطلقة من الحرية والأمن والأمان والاستقرار..

... سوريا المغتصبة من العدو.. العدو المولود من
بطنها... العدو المقيم بأحشائها... العدو الغير
منتسب اليها..

الأسئلة هم عليا يكثرون... ماذا أقول ؟ ... ماذا
يريدونني أن أتفوه ؟ ... بماذا أخبرهم ؟

لا.. مع ألامي أتركوني... من الأسئلة والنظرات
أرحموني... بينكم تكلمو والله لن أبالي ولن أهتم..

فأنا عقلي.. ذهني.. تفكيري.. قلبي.. روعي بالعالم
الثاني الذي به أهلي أنا هناك .. معهم طوال الوقت
لحما ودما..

أحكوا قصتي .. مأساتي لمن تودون
وترغبون.. فالعصير الأحمر تسرب خارج
السور.. عن سور بيتنا خرج.. ما وراء الجدران
والأبواب فك من رباطه..

ما سنك ؟... بالشك.. بالغربة .. بالعجز.. بأي سن أنا
عجزوا عن التدقيق والتحديد..

...عجوزة أنا بسن شابة...كبرني الحزن والألم
والمعاناة...

من الطفولة...من الشباب.. الى الشيخوخة ألّمي
وجرحي نقلني..

يسئلون ..يكربون السؤال.. عفاف تقول سئمت يا
مستفسر..

ما الذي يحزنكي قلني ؟...هم لي يخاطبون..
كيف للحزين أن يواسي ويخفف عن حزين مثله..
...كيف للابن أن يتحمل حزن الأب والأم
والاخوة...كيف نشفي جرح الأم لنشفي جروح
الابن والابناء...

سوريتنا تبكي...سوريتنا تتدمر..سوريتنا
تتهدم...سوريتنا تحتضر..سوريتنا تموت
وتتجرح..فكيف يكون ..كيف سيكون ابنك يا
أمناء..يا سوريتنا...يا وطننا..

حزين..حزن جلبته لي أُمي سوريا..حاكم
أُمي..عدو أُمي..

...من حزنها..من ألم سوريا تألمت ..الروح تألمت
وتوجعت..الروح طارت ورحلت..ضاع
الأهل..فقدتهم..

من هم ضحايا سوريا..؟...شهداء لقبوا وسعيدة
عفاف بلقبهم هذا..على الأقل مطمئنة أنهم عند الله
أحسن وأفضل ... بمكان جد مرموق هم..

ماذا تتمنين ؟ ..كيف يكون لي آمال وأمنيات وأنا
بوطن دمرت فيه كل شيء يبني لي الأمل...وطن
فقد كل أساليب وطرق تحقيق هذه الأمنيات..

عفاف لا أمنيات لها بغياب الأهل والأحباب...

..أمنيتي أن يكون التراب غطائي .. أن ألحق بمن
تركوني بهذه الظلمة المخيفة , والوحدة الخائفة
والألم القاتل...

أخاف ظلم الظلام... أخاف عنف الظلام... أخاف
وحوش الظلام... أخاف غدر الظلام... أخاف خيانة
الظلام.. أخاف من قدومه ووجوده وحلوله..

...النور من سمائنا غاب .. بصعوبة.. شيء مستحيل
أن يرجع ثانية...

رغم الدمار .. بكاء .. سيلان دم جميع أرجاء البلاد
وتحولها الى رماد... مع كل هذا بيتنا الصغير كنت
أخبا فيه أحلامي وأمنياتي..

...بشعاع النور الذي يضيء من قلوب ووجوه أهله
وبالأخص أبي وأمي..

...بهذا المنزل الذي فقد ورحل عنه أسس بناءه
ودوامه وبقائه...

انفتحت الجدران.. النوافذ والأبواب التي أغلقت
بأمل التغير.. بإيمان والعيش بعيدا .. لم تفتح... لا
الوضع الخارجي الذي صار لا يختلف عن
الملايين من البيوت ... صار بيتنا منه..

بيتنا اغتصب بليلة احتفال ...دون رضا أخذت
الأرواح التي به بقوة ..ببشاعة وعنف و...وأنا
أهدوني بليلة احتفالي بعيد ميلادي عصير أحمر...
جمعت قطراته من قطرات الأرواح الطاهرة..
سوى روحي...روح عفاف ظلت تشرب من ذاك
العصير..

تركوا الروح حية ...روحي ماتت لحظة أخذ
الأرواح المتواجدة بالحفل وحتى تعدو على أرواح
الغائبين.

لا أحد يعلم..لا أحد يحس...لا أحد يرى ضخامة
الألم والجرح الذي أصبت به وأعاني منه..

اللسان ربط...وعدني بأن ..لن يشارك بشر
معاناتي فوق معاناتهم..

...بحثت مرارا وتكرارا...عند هذا المكان توقفت
..لست أقوى على السير والتحرك...هنا الحركة بي
توقفت..هنا الروح يا روح أخبرتني..نبئتني بأن
النهاية الحتمية هنا فاستعدي يا عفاف ...استعدي ..

مستعدة عفاف.. لكن قبلها دعيني يا روعي أنتي...

أمهليني القليل... لي كلام كثير أود قوله.. أسطر
كتبتها بكتاب هو بداخل الجسد... امتنعت عن
عرضه لأنه ليس هناك من معه ليشتريه... لا أحد
عنده وقت ونفسية لقرائته وحتى للاطلاع عليه...

.. فكتب السوريين بالمئات والألاف
مخبئين.. خزانتها في أنفس مؤلفيها..

.. كتب كتبها قلم الواقع والحقيقة والمعاش وصفحة
هي أرض سوريا..

.. أعظم من كتابي وأقوى من أحداثه منها الألاف
عانو ولا زالو..

... لن أستطيع الرحيل والكتاب بداخلي... أود
الذهاب وأنا فارغة.. بدونه أغادر.. ورائي
أتركه... بجدران هذا البيت تبقى مع الذكريات.. لكل
ما فيك يا منزلنا المخلص الشريف الطاهر... معك
أترك السواد والى السماء أكون بيضاء...

البوح..السرد..قراءة أوراقه وصفحاته هو الذي
سيخرجه من كياني الباطني اللامرئي...السامع
سيكون من بيننا..

..عفاف... يا روح عفاف ستطلق سراح الأه
...بصوت عال ومرتفع تسمعك.. وتسمع الذي
حولنا ..تشرح الجملة التي رددتها كثيرا...بل
الجملة التي نطقت بها منذ عديد ال..كل الأوقات
ألا وهي عصير أحمر بليلة احتفال.

ها أنا أيتها الروح ..بالسطح واقفة ها أنا..دعيني
أتكلم..دعي السماء بنجومها وقمرها المصابين بسم
الأرض يسمعونني..الأشجار المحترقة..البيوت
المدمرة..البناء المهدم..يسمعونني ...

بكل جزء بهذا البيت كانت لي ذكريات
أغلبها..كلها جميلة...آخرها محت الجميل
والرائع..بقي..ظل سوى البشع ...بقي يدور في
ذاكرتي..يحوم فوق أرجاء مخيلتي وبصري..

...بكل زاوية بيتها اليتيم الحزين.. الميت وهو
موجود مثل موت روعي المتواجده بالجسد
بعد... الزوايا الكل سأروي لها ماضي وحاضري
وحتى عن مستقبلي القريب..

لن أنطق بالأه التي ورائها خبيت أحزاني وأحداث
ألامي واختصرتها في حرفين ذا وزن وثقل.. أه
من عصير أحمر بليلة احتفال.

مرات أحلم بأن أكون... تصير عفاف بيوم من
الأيام طيبة وأداوي ألام الناس... وأوقات ينسحب
الحلم... يسافر الى عالم الحقوق وأصير أحلم
..أتخيل بأنني محامية ..محامية ليس ككل
المحامين... محامية اسمها الدفاع عن الحق واتيانه
ويكبر الحلم بي أن أكون جالسة بكرسي
القضاء.. والظالم أحاسبه.. القاتل مثل الذي قتل
أعضائي.. بالاعدام أجازيه.. المظلوم أسعده بتطبيق
حقه على الذي ظلمه..

...كنت أتوه كثيرا بهذا في أرجاء وأماكن هذا الحلم
..فيه أرى ذاتي.. أظهر قوتي وأخبئها.. تكبر
عضلاتي وتتصلب..

...لكن دوما استيقظ على واقع مرير...واقع أجمع
كل لحظات السعادة والفرح بطفولتي وعند
مراهقتي وضعهم تحت قدمي فأحرق أقدام من
حولي..سبق حرق القدم القلب..

أما توني يا روجي..أما تني الذي أمات الحظ السعيد
والعيش المريح..الأمن والأمان بسوريتنا..

...من هو..صديقتي يا روحا أنتي لا أدري..قد
يكون عمي ..لا جارنا..لا قريبي...لا أخي ..لا
صديقي...

من يكون مدمرنا...من هو قاتلنا..الأقنعة كثيرة
والكشف عنها يدخلنا في تحليل ومعتقدات وأراء لا
تتفعنا سوى تضرنا أكثر وأكثر...

..الدور في اهداء النهاية البشعه سيكون في
ضيعتنا في قريتنا قرصايا..بالتحديد في منطقة آل

ظاهر.. أصحاب هوية آل مصطفى بدأ
ببيت.. منزلنا... بنت محمد ديب طاهر... خاتمين
بالبيتين... منزل السيد عبد الحي طاهر وأخوه عبد
القادر.

أبكي أنا... تذكرت الذي حدث.. الذي
وقع.. ماض.. أمس لا يرضى البعد عني.. يلاحقني
دوما.. يثبت عندي الأوهام والدمع ورفض الحاضر
والهروب من الآتي..

.. عينايا المغرقتان.. قلبي الممزق الحزين.. هاتان لو
رأوا السعادة.. لو زارتهم الفرحة فلن يعرفوها.. لن
يستقبلونها لأنهم يكذبونها.. رصخت في لبهم
الماضي المرير والحادثة البشعة والمجزرة النازفة
السالبة للأبرياء..

كيف يا روح؟.. يا روح عفاف كيف.. أقنعيني
.. نوريني.. حدثيني.. كيف أعيش وكأن أي شيء لم
يكن؟.. وكأن أي شيء لم يحدث.. كيف لحي ميت

يكون سوى حي؟ ... فيا كل شيء مات .. حية بي
هي الموت.

لا تقنعيني.. فلمن أقنع.. أتركيني لأن الجنة هنا
ستترك.

..تعال يا روعي.. يا روح عفاف الى الأفق.. الى
العلا... الى فوق كثيرا نكون.. ان أهلي.. أحبتي
ينتظروني..

..شوقي اليهم لا يريدني البقاء بالأرض.. شوقي
عنيد ولن يسمح لي.. سيجرني أنا وأنت سويا الى
السما.. الى مكان به كل شيء طيب وجميل
ولذيذ.. المكان الذي به أهلي أحياء ومعهم أحياء
أحلى حياة..

سئمت من حياة البر... الروح طاهرة.. كيف أكون
بمكان وحوش سلبو مني ومن أخوتي وأمة هذه
الأرض الحياة البسيطة..

لا أريد أن أهجرك يا سوريا الحبيبة.. بيتنا أنت لا
أهوى الموت بعيدا عنك.. سرقت أرواح الغوالي
مني..

..لن أترك روعي بين يديك الشياطين البشرية.. لن
تعذبوني أكثر.. سأرحل بهدوء.. بقناعة ورضاء فأنا
والروح نتهياً.. الرحيل قريب.. اقترب.. عند الباب
هو..

لن أساهم يا عدو في منحك لذة القتل التي
تشتهيها.. سأهرب.. نعم سأهرب هذه المرة ولن
تمسكونني.. ساحرة سأكون.. شفاقة أمر وأعبر من
حولكم ولن تلمحوني..

هنا بهذا المطبخ.. أمام هذه الحنفية كانت أمي عائدة
حبوش.. أطيّب امرأة بالضيعة.. قرصايا الموجودة
في سهل الروح تحت جبل الزاوية محافظة أدلب
منطقة أريحا.. بهذا المكان الواقفة فيه أنا يا روعي
كانت والدتي تحتضن يدي بخوف وحنية

معا..قربت أصبعي على الحنفية لغسل الدم السائل
منه.

..انجرحت جرح بسيط جراء مساعدتي لأمي في
تحضير الكيك..حلوة احتفالي بعيد ميلادي السابع
عشر...جهزنا سويا أذ وأشهى كيك وحلوى..شكله
رائع يشد النظر الحزين الذليل المتشوق لرؤية
الأمان والاستقرار بالوطن وبين الناس..بكل مكان
بسوريا..

لست أدري..رأيت حزن عميق بعين أمي..لست
معتادة على رؤيته..لمسات تودعني..نظرات
تحتضنني للمرة الأخيرة..ملاحها
الممتلئة..المهيئة للمغادرة والرحيل الأبدي
أخافني...الخوف جرني الى حضنها..نبكي
معا..بكينا بشهقة غريبة..من المتسبب..ليس هناك
متسبب..ما هناك من سبب..الذنب..المذنب أنا
اختبئتنا بقلب الوطن..اخترنا السكن ببطن
سوريا..وفي الأمعاء حرب ما كانت لتنتهي..ما
كانت لتتوقف..ما كانت لتهدء..

...اختبئنا بالعمق بالعمق..بالعمق كثيرا..غصنا
ولازلنا نغوص..غرقنا والغرق أخفى
ملامحنا..ووحش الأمان يلحق ويجدنا..هربنا
فمسكنا..منا كان يقترب..قريب قريب كان..

..أين نذهب بعدها؟..هل نستمر في المشي
والرحيل الى أعماق وأعماق..بعمق فوق
عمق؟..ولو فعلنا..تطرقنا وجربنا..فبيطن
سوريا..بالأخير لم يكن المأوى ولا
الحامي..الزوايا..زواياك يا وطني انتشرت بها
الدمار وسفك الدماء..

الجيوب المنسية..الغير معروفة..ما هي
بالمسموعه..انكشف لعدو يتلذذ القتل..يشتهي سماع
الصراخ والتوسل وقول لا لا..

..يحبذون رؤية السائل الأحمر..يعشقون مشاهدة
الرؤوس في استقلال عن الجسد..وكل عضو
ينسحب من أخيه..والقطرات تتطاير بكثرة على

الجدران وحتى على الوجوه عندهم.. عندهم لا يأس
من هذا.. لا ملل.. استمرار ورغبة في الاستمرار..

الفيستان الزهري ذات الخطوط السوداء كان يدين
أعمال القتل.. ويحكي قصة جمال أمي
عائدة.. الأنوثة الصارخة الملتهبة لم يسرق منها
الحسن الرباني.. الحزن حاول ولم يذبل
أوراق.. وريقات حسناتها المنفتح.. والأه لم تخفي
البسمة التي لم ترسمها الشفاء.. رؤيتها
.. يرونها.. تظهر وما هي بالظاهرة..

الشقاء والهموم والأهات.. المعاناة لم تستطع أن
تحول لون الخيوط السوداء الرفيعة الناعمة
والرفيقة المنبعثة من ثروة رأس عانا ولا يزال
يعاني.. الأسود يسكنها.. الطول لم يتحول الى قصر
بعد.. الكثافة التي بشعرك يا عائدة لم تخف.. لم تغير
موقعها بعد.. ولا شكلها..

...الشفاء الوردية المتحركة بأجمل ألفاظ..التي ان
غيرت بقعتها تكون سوى لعرض الاله المصحوبة
بأمل..بمناداة الغد المشرق تعالا..

..لم تحرم لب أعين الآخرين..من حولها ..من
رؤية ما وراء الظاهر..الابتسامة ..ابتسامتك يا
غاليتي بالخيال هي ..بالذاكرة هي..بالحقيقة غابت.

أه على الجدران البيضاء الصغيرة المبنية باحكام
وعناية واتقان رباني خارقة..لم يرد الخاتم الوردي
اخفائهم..فجواهر خاتمك يا أمي لم يتمكن لا الطعام
ولا الجرائم الليلية الزائرة بغياب من يحميها من
اظهار الضوء البراق والنجوم المشعة بكل جوهرة
بالسور المغلق بأجمل شفاه المحاط بأنقى لسان
..الملحن لأعذب صوت..

...لو حكيت للنجوم عنك يا عائدة كانوا لفوكي
وغطوكي وجنب القمر وضعوكي..كبريق مش
يخدع..أخدع الابصار الباحثة عنك..

لو وصفتك للبحر كان تحول الى نهر..

لو خبرت عنك الفجر كان أمر الشروق بحمايتك
من وحوش النهار وفرض على الغروب بغش
غدره الغادر وخيانة الخائن..

لو عرفتك قرصايا عز المعرفة يا ملكتي الراقية
لكانت بنت جدران من حديد... لكانت أغلقت
حدودها بأسلاك كهربائية عن بعد آلاف
الكيلومترات.. لكانت سدت طرقها بثعابين مسممة
تلدغ عن بعد أمتار وتحضر الموت في لحظة..

... لكانت أنارت أضوائها وأحيائها المظلمة .. ولبس
سكانها الشجاعة.. والأيدي ارتدت قفازات هي
سلاح ورصاص وأسهم .. خناجر تخيف وترعب
قبل الارسال..

... لكانت حولت ليلها الى نهار.. وزرعت على بابك
وكيانك.. على محيطك حراس لا تقضي عليهم لا
النيران.. لا المتفجرات..

لو بدأت في الرد على طبيبتك الفائقة للوصف
وروحك المفقدة عند كل البشر...

..لو رويت عن أخلاقك التي لم يشهد لها بالتاريخ
..عن أدبك الذي لو عرفته مدارس الأدب
والأخلاق لكنت أغلقت ..وعن حسنك الذي يعجز
عن رسمه أعظم وأبرع فنان ورسام..وعن
معاملتك لبعثت أمهات العالم والكون كله أولادهم
طلبا لتعليمهم وكسب المعاملة الحسنة الراقية
المتواضعة البسيطة و...منك .. وعن ثقافتك في
الحياة لكنت المعرفة قدمت واستقالتها وأعلنت
اعتزالها..وعن رزانتك وعقلك ..ولو نطق
لكنت الأمم منك بنت أمة ومستقبل لم يبني مثله
من قبل قط...وعن حنانك .. عن دفئك .. عن رقتك..
لكنت أبهرت الأذن

..أم الانسانية ..ملكة الاحساس والحنان أنتي يا
أمي.. امبراطورية الرومانسية من غيرك يا
غالية...سلطانة الكون وبنية العظمة بالجائزة
فزتي..

معك يا عائدة..فيكي يا أمي .. من أجلك ..ملائكة
الكلمات والأحرف كانت تراجعت واعتذرت قائلة:

عذرا عذرا.. أمام عائدة تعجز.. تخون.. تخطأ..
تظلم.. تخرس.. ترحل.. تغيب.. تتوقف.. تموت
الكلمات والعبر.. الألفاظ والمعاني..

لو... من كل هذا... لكان الرب بعث ملائكة السماء
والأرض.. يبعثها خصيصة لجعلك ملاك بشري
على أرض سوريا لا يظلم ولا يظلم.. لن يتعدى
عليه ولن يصاب بمكروه.. ومن العباد المتلونة
عنهم وعنكي أبعدكي.. أبعدهم..

لا أحكي لكي يا روعي عن أكلها الذي نابع
والمجهز من حلاوة روحها.. لم أدق بحياتي أكل
سوى أكلها ولا أحب سوى الأكل الذي تطبخه
وتجهزه هي..

..بيتنا دائما به رائحة النظافة .. النظافة في بيتنا
فرد من العائلة لا بد أن يكون حاضرا معنا ولا
نستطيع على غيابه اطلاقا.

..مهلا مهلا يا روح عفاف.. نسيت أحكي لك عن
أهم جزء يعجبني بأمي.. عن المرأة التي من خلالها

أرى أمي..منه أرى المستور وما وراء الستار
والمكنون ... عيناها... لو حكيت قصص وقلت شعر
طول الدهر لن يكفي وصفا وقولا عن عيناك يا
عائدة..

في شكل عيناها حكاية..في المضمون رواية...

...من أين أبتديء..يعجبني لون عيناها
..كثيرا..دائما الى المرأة أنا مسرعة..أتأمل بدقة
...برغبة ..بتمني أني أرى عينايا قوس قزح مثل
عيناك يا أمي..من داكن الى فاتح..حلقة عيناها
دائما تلعب الأدوار وتستعرض أجمل الألوان..فاتح
خفيف..فاتح قوي..فاتح بسيط..داكن خفيف..داكن
قوي..بينهم لؤلؤة العين تنتقل من لون الى لون
حسب المزاج ..حسب النفسية..حسب الجو..حسب
الطبيعة..حسب الأجواء المناخية..

...نهر مليئ بالمشاعر والأحاسيس..و... وفي
عيناك يا أماه..أراهم سماء..أراهم أرض ..أراهم
مأوى ..أراهم هم الوطن..هم الدفئ عند البرد

والحرمان.. هم النور عند الظلام.. هم السعادة..
الفرحة الزائرة عند الحزن والألم..

رموشك حرير ناعم.. ليس بالغالي عن المحتاج
لنعومته ... رموشك أجنحة ملونة لعصفور يغني
ويغرد فوق رأس.. فوق أجواء وسطح المدمعة
الغائبة عن المركبة الزاهية بالأنفاس والأرواح..
العقول والقلوب الى العالم الهادئ البعيد .. المتخلي
.. الناسي للواقع المرير الذي حطم النفوس يا
سوريتنا...

...هي من تجعلنا نستمر رغم الحزن الذي عهد..
وعاهدنا أن يسكن ليلنا ونهارنا.. جميع أوقاتنا..
رموشك اليمين والشمال .. الشرق والغرب
المحتضن عند الخطر..

... رموشك يا عائدة ريشة طويلة.. رقيقة.. ريشة
جنب ريشة.. ريشة تحت ريشة.. ريشة فوقها ريشة
تكتب وترمي بماء على كتاب هو حدود لم تخلق
ولم يكن للقدر يد في تبديلها بقطرات نمت وكبرت

فولدت من أهات وألام وأوجاع طردتها النفس..
رقصها القلب .. خاصمتها الروح لكن .. للأسف ..
لا لوم عليك يا أجمل عيون فبئرك الباطني يا أُمي
ان انفجرت ابوابه وانفتحت .. لم يكن للصراخ ...
أنوثتك .. عطفك .. احساسك بالأخير حول الصراخ
الى موقع اللسان .. الى بقعة بها صمت .. بها
بسمة مع دمة .. بها حزن للمجاور .. سحر العين
تدمع وتبتسم.

لما نسئل .. يا عين .. لما البكاء .. علينا ترد لا لا ..
حنفية الفرحة عندي سالت لوجودكم .. لحسكم يا
أحبتني ..

عيناها بالليل .. عند الظلام مصباح يضيء .. ينير
وحشتنا ويطرد وحشنا وخطرنا ...

.. عينيك الرائعتين الكبيرتين بيت أنجب وربما
وأوى ... منزل به أثاث وأفراد وملتزمات ... عيناك
يا عائدة جدران متينة لا يهداها لا قنابل ولا
صواريخ .. أسقف اسمنتها متين لا البرد .. لا

الحر.. لا ذوي القنابل وفيروسات المجتمع والأمن
والسلام يزعرعوها.. لا تتشقق رغم الزلازل.. لا
تتهدم مطلقا.. ولا نيران البركان تهدمها وأرضا
تسقطها لهبا ورمادا تخلفها..

من.. منك هذا يا غاليتي.. أنا الشجاعة أخذت..
الجرأة تعلمت.. الصبر اكتسبت.. التصدي..
متصدية وقفت.. بعدك حديدية كنت.. لقبت..
اشتهرت..

.. منك يا عائدة القوة سرقت والضعف قتلت
فدفنت... لرحيلك أحبيت الضعف والقوة سحبت
مني وسام البطولة..

أود أن أوجد أينما توجد.. أكون أينما تكونين..
أين أنت ؟ لكي أسافر وأكون فأقيم.. بالجنة أنت..

معك مشتاقة أكون.. استدعيتني كثيرا بالليل..
استدعيني لألبي الدعوة.. يدك لي مددت.. يدك
اللتين جاهدن كل سهرة من سهرات الفجرية
لأمسك باليد المنحنية لي .. الطالبة بالانضمام قريبا

وعاجلا عاجلا.. للعيش ببيتنا بالسماء.. ايه ما
أحلاه من البيوت على ملامح الكون.. بالجنة..

يا روعي الساكنة بعد بأعضائي وكياني
الجسماني.. بالله عليك يا روح عفاف الى بيتنا..
خذيني.. رجاءا لا الى البقعة التي بها أهلي
تحولي بي الطريق الى بيت به نار تحرقني..
كفاني حرمان بالدنيا.. كفاني نيران ألهمتني حتى
أوصلت بي لسحبك سريعا.. أتوسل اليك أن تجري
حظي الدنيوي معي الى آخرتي..

الانتحار سيبعدني عن لقاء الأحبة.. الانتحار هو
أصلا مرض خبيث سيزامنني ويلتصق بي
ويعذبني.. لكن ليس هناك حل.. لا أقوى على
الانتظار أكثر..

يا ملك الموت عذرا لأنني لم أنتظرك.. يا قبري لا
تدع العذاب يحيط بي من كل جانب.. لا تدعه
يستقبلني فأنا فوقك عانيت وتألمت.. تعذبت حتى
أن الجسد.. الروح للعذاب تعودت واحساسها له

مات.. بالنور والراحة يا قبر أو عدني.. عني
لعزرائيل أحكي.. أخبره.. أعلمه بما مررت به
وهو.. أنا متأكدة بالحضن الأمن والمطمئن..
المريح سيريني.. يعوضني..

لم أظلم فانظلمت.. لم أضرب فانضربت.. لم
أجرح فانجرحت.. لم أؤذي فتأذيت.. لم أولم
فتألمت.. لم أبكي فبكيت..

..هكذا يا خاتمتي.. لما بعد الخاتمة أعلمني بالمعاملة
الخاصة فأنا محتاجة جدا أريد.. بالشيء المختلف
والنادر أنا أستحق..

يا فرشي التراب أنا أتية.. تحول من غطاء
مختنق.. الى المريح كن..

.. أتمنى عمري الذي بالعالم الآخر مختلف.. كله
سعادة وفرحة وطمأنينة.. أتمنى أن أولد من جديد
ومع من أحب أعيش.. بأخضان أمني أنام.. فوق
رجلي أبي أجلس.. مع أخوتي ألعب وأمرح
وسوى الحب والطيبة.. الحنان والوفاء.. الصدق

والاخلاص يجمعنا ويحتوينا.. سوى الخير فوقنا
يحوم ومعنا.

.. أكثر شيء أحاسب .. ألوم الزمن والدنيا أنهم لم
يمنحوني الأمن والأمان.. ابنتهم كنت فلم يعتنو
بي.. خدمتهم ولم يخدموني.. بالواجب تهربو
فضروني..الأمن والأمان الذي يمكنني من أن
أكون أما تشبه الأم عائدة.. وكل شيء قامت
به..منها شفته.. منها تعلمته.. بما تميزت
واختلفت .. بهم أكون..أطبقه مع أولادي.. تمثال
الدفء والحنان والاحتواء أكون..الأمومة النادرة
أطبقها فيحكو عني وتصل الى ابني.. أبنائي.. مثلي
مستقبلا ومثلك يصبحون ..في هذه اللحظة..
بلحظة أفضل وبواقع أحسن..وضع أشرف.. عني
يروى للروح أو لأي كان.. المهم عني يعرفون
ولي ولهم فخر وعزة .. عفاف أم وليس بعدها أم..
نزيف الحزن عندي زاد ومثل فصيلته لم يوجد..
لا يوجد كيك.. تورتة عيد ميلادي هذه المرة
أبهرت حاضري وكأن الموت كان يخبرني

ينبئني.. نبأ الحواس عندي باستغلال كل جميل
وحلو يمر من حولي وبعدم الرحيل دون الاقامة
عندي حذرنى ويود اعلامي..

بليلة.. بيوم احتفال بعيد ميلادي بيتنا ومن فيه..
قررنا بأن نغش الفرحة.. نخلق لأنفسنا جو مفرح
وسعيد وفعلا اتحدينا .. تضامنا.. وصلنا لمبتغانا..
كنا نعيش الختام.. الرجوع الى ضد السعادة التي
حسدتنا وأصرت أن ينتهي الجو المبتهج المبتسم
الى بحر الأحزان والألام.. غرقت بالبحر سوى أنا
فيه .. نجوت.. الباقي مات وودع.. ها أنا منذ ليالي
طويلة أقاوم واسبح للعودة الى الشاطئ ..
عجزت.. لم تسعفني أي سفينة من السفن التي
مرت.. مرت سفن من حولي.. سوى سفينة
الاستسلام والانتحار.. سفينة.. سفن رمت لي حبل
... حبلها أغرقني أكثر.. عن السطح يبعدني..
بالكثير أبعدني.. أبعدني.. لكن... الصبر نفذ.. ها أنا
أتبع الحبل لأصل لرأسه الذي سوف يلف حول
عنقي ومنك أيتها الروح يأخذ والجسد يرمي..

أشتهي نوما بلا استيقاظ.. أشتهي حياة بلا دنيا..
حياة مع من بهته الحياة تركوني..

... أشتهي جسدا بلا لباس.. اللباس الأرض
المجروحة.. اللباس النفس المكسورة.. اللباس
الواقع المرير الخطير .. الجد مخيف.. اللباس
المنتقم الظالم.. اللباس حرب هدمتنا وحطمتنا و ما
بكفا..

لا عن مخيلتي.. لا تغيب عن ذاكرتي الأوقات
القليلة جدا الممضية بين البنت وأمها في المطبخ..
منهمكين في التجهيز والترتيب .. والكل بالخارج
يتسربون .. مهلا مهلا .. بسرقة لرؤية أين وصلنا
وما المجهز يمشون..

عائلتنا.. أسرتنا .. كانت .. كنا جسد كل فرد
بعضو..حيث العضو يكمل العضو الآخر ولا
بامكان أي عضو الاستغناء عن أخيه..

... فرحة صغيرنا ترقص قلب كبيرنا وسعادة
كبيرنا هدية غالية مهداة لصغيرنا..

... حزن صغيرنا يميت كبيرنا قهرا وألما , وحزن
كبيرنا نار يشوى بها صغيرنا..

هكذا كان آل ظاهر أصحاب كنية آل مصطفى
معروفين بالمنطقة.. بأطيب البشر معروفين..
بأحسن العباد معروفين.. ملقبين..

أبي بالسنبلة السبعين كان.. شيخا كان.. كأنه
بالعشرينات أقسم كان.. شابا ذات السبعين كان..

لم أحس .. لم أنتبه .. كذبت .. لازلت أكذب أن أبي
شيخا هرما.. فما كانت تحمله نفسه .. قلبه .. روحه أبا
في عز الزهور..

لعفاف محمد ديب طاهر كان الأب .. الابن .. الأخ ..
الصديق..

...لعائدة حبوش محمد ديب طاهر كان الزوج ..
الأهل...

البياض المكسو شعر أبي..المغطي رأسه لم يكن
يوحي لي هذا البياض على كبر السن ..فكم من
صبي غمر الشيب رأسه ..وكم من كبير لم يزر
البياض شعيراتة..

الشيب يثبت لي التعب .. الشقاء الذي شهدته أبي
ومر به ..يثبت لي النفس الصافية والقلب النقي..
الفكر .. الذهن الصحيح المفيد .. يظهر لي الثلج
الدافئ المتهاطل .. المتساقط على قمة أهل بيته..
الثلج الباعث .. الأتي بالحماية والأمن .. الحنان
والدفئ والحب.

كان سؤالي دوما : أبي أبي ..شعرك شاب
وحاجباك شابو.. لحيتك شابت..شعر جسدك الكل
صار أبيض.. معنى هذا أنك كبرت صرت
عجوازا..لكن لما لون شيبك مختلف هكذا ؟ لما لا
تجعل لونه أسودا ويصبح مظهرك بعيد كل البعد
عن الشيخوخة والى الشباب تقترب..

لي قال : لون شيبى مختلف لأنه ما بداخلي
مختلف.. الشيب كساني والجسد هرم لكن القلب
بالحب لا يزال شابا.. نفسي الجميلة بجمالها شابة..
روحي العاشقة لكل ما يعشق والكارهة لكل ما
يكره.. الجالبة والمعطاة لكل ما يفيد.. المقيمة
بعصر .. بزمان.. بعالم الصالحين هي شابة..

... كياني الباطني..بيتي الباطني
..المستور..المكسو بهذا الجسد .. الجسم الهرم..
القديم الوجود والظهور..الكثير الاستعمال..داخله
شاب يتمتع بشبابه الكل... شاب ما يمر به من
العمر والزمن يبقى شاب..لكن الكائنات الساكنة
بباطني كائنات خلقت لايجاد وزرع البذرة
الصالحة الخيرة..هذه الكائنات رغم تواجد
الظلم..الطمع والجشع.. و.. و.. كائنات كانت
بالبعيدة ...

...لهذا يا عزيزتي يا صغيرتي..يا ابنتي أنا شاب
بالروح والعقل والقلب والنفس لا بالجسد.

أبي كان لي السرير الذي عليه أسترخي وأنام
النومة المريحة التي أحبها وتريحني وتستيقظني
على يوم جميل وان كان بشع..

كان لي محمد ديب طاهر المعطف الذي ألبسه عند
البرد الشديد.. لي هو .. الحذاء الذي يحمي أقدامي
من أشواك الطريق والأرض والبشر..

... هو الملجأ الصغير الذي أهرب اليه عند
الخوف.. عند لحاق الخطر بي .. عند الاستعانة
بالنجدة و النجاة..

أبي سيارة اسعاف تصطحبني.. تلحق بي.. وترجع
بالأنفاس الأخيرة الى أنفاس البداية من جديد..

... أبي الأسد الذي أذافع به عن نفسي ومن شراسة
قلبه الخانق المدافع علي أسرق..أخذ..
أستمد.. أستعين بالقوة والقدرة.. بالتحدي
والمواجهة..

...أبي قائدي.. أبي معلمي.. أبي مرشدي..

لا رئيسا لي فأبي رئيسي.. على رئاسته أمشي
وأتبع.. من قوانينه أطبق وألتزم وأطالب.. منه
الواجب أنفذ والحق أخذ.. من نظامه أحمي
وأحمى..

أنتخبته لا لأنه أبي.. لأنه الرجل العظيم.. الرجل
الشريف.. الرجل الذي عنده لا أهان ولا
أظلم.. عنده أكرم.. الرجل الذي روحه موضوعه ..
مقدمة للتضحية.. الرجل الذي يعيش مرتدي كفن
ويموت على نفس الكفن..

أبي ما أعظمك يا أبي من بين الأباء .. يا أبي .. ما
أروعك يا أبي من بين الرائعين.. مثلك لم أرى ..
مثلك لن أرى محال يا أبي .. أنت قدوتي .. أنت
مثالي في الحياة لا غيرك يا أبي .. أبي يا أبي ...

والله على نظريتك .. على مذهبك .. على مدرستك
.. على فكرك اتبعت ومشيت وفيهم وعليهم أكمل..
أواصل .. لكن .. لكن لم أجد لها تطبيق بالوجود..
سوريتنا يا أبي تغيرت .. وطننا سرق وباع ..

قربت الوصول اليكم يا أبتى.. معا.. وراءك..
نتبعك.. نطبق الذي لم تستطع تطبيقه بالأرض..

بسوريا لم يعد هناك سكن واقامة للخير وفعله
والحث عليه.. لم تعد هناك مبادئ.. لا وجود
للأخلاق.. الحق مات معكم.. مع شهداء سوريا
وشهداء غيرها..

مشتاقة الى يدك الخشتين الناعمتين المليئتين
بالحنان الفائضتين بالدفى يا أبتى.. يداك اللتان بشدة
الى حضنك يشدونى.. الى صدرك تضمينى..
وتخبئني من أي شيء يخيفني ويهددني..

... الى الصلاة وراءك أنا ملهوفة .. لم أنسى .. أنا
متشوقة يا حبيب قلبي يا محمد ديب طاهر للشهادة
... شهيدة بنت الشهيد أشتهيا.. تشتهيا روعي..
خاتمتي المهيئتين للقدوم اليك.. ويكونو أينما أنت
الآن..

أنت أب افتقدته العديد من البنات .. أنت أب ورزق
لم تحضى به غالبية بنات الأرض .. عليك الكثير

حسدوني.. لا يزالون يحسدونني..أنت أب تتمناه
كل بنت.. هل يكون حسدهم هو من أخذك مني ؟ ..
هل الحسد .. حسدهم سبب لومي للحياة والى ما
وصلت اليه..

... أكيد العدو حسدنا.. غار من حياتنا البسيطة
النادرة.. التي كلها حب ومحبة وتماسك و.. و.. و..
..شتتونا وأحسنو في ذلك.. نجحو.. تفوقو علينا في
الغدر والظلم و.. فرقونا وأجادوا في ذلك..الى
السماء رفعوكم وبالأرض أبقوني
ووضعوني..بجدارة تمكنو من كل هذا...

كيف أنسى .. بالله عليك يا روح عفاف كيف أنسى..
.. دقات الموت تطرق بابي.. بابك يا روحي..

.. سأرحل .. لا .. لا .. ليس بالامكان البقاء والعيش
أكثر.. الحياة لا أطيقها.. وأراها لا تطيق وجودي..
أشعر بذلك من ليلة احتفال..

.. بليلة فرحة ضائعة .. بليلة لمة طال غيابها .. بليلة
بسمة تحدث المعاش وما وصلت اليه يا سوريتي ..

.. بال ممتاز جدا تمكنا من خلق جو غاب بكل
نواحيك يا سوريا .. بكل أراضيك .. بكل زواياك ..
بكل البيوت .. بكل القلوب والأنفس والارواح يا
سوريا الجريحة ..

سأغيب .. على حافة الاستمرار .. على رصيف
الموت وصلت ..

.. الذكريات تقتلني .. العصير الأحمر بليلة احتفال
يمزقني وكل قطرة منه تكوي عضوا وراء
عضوا .. للموت أوصلني العصير الأحمر ..

.. الوقت الأسود الذي يكبر وكبر الى سنوات أمانتنا
أحياء ..

.. سوريتنا تحتضر .. انجدوها .. ساعدوها ..
أسعفوها .. أنتم من مازلتو ورائي .. يا من سآترككم
أحيو الوطن ..

لن أُنح.. لن أمهل لروحي لحظات..

... ذهب الأهل .. تلاشى الوطن.. لمن أعش اذن..

لما أحيا وأبقى والحلم تبخر.. الأمل احترق..

الاصرار تحطم.. التحدي تهدم..

يا روعي بقلب ذاكرتي أنا سجينه.. أسيرة أنا في

هذه الذاكرة السوداء..

.. بقلب المأساة والألم والحزن.. الدمار.. أنا معتقلة

الى متى لا أدري..

.. أنا حكم عليا بالاعدام .. كل الذي حولي الاعدام

أهداني..

مهلا .. توقفو .. لا تطبقو الحكم عليا.. أنا من

سأطبق الحكم الذي أستحقه.. أنا من سأعدم نفسي

بنفسي..

لا أحد يتقدم نحوي.. وراءنا تراجعو.. افسحو لي

المجال.. وحيدة أتركوني لأن الروح ستسئل النفس

عن آخر أمنياتها ..

لا ولد... لا بنت.. لا أهل .. لا زوج .. لا احباب
من اجلهم اكافح .. من اجلهم أصمد وأتحمل .. من
اجلهم أصبر وأكمل.. أتحدى واجاهد .. فأنجح
وأنتصر..

... يا روح عفاف معي أغمضي عيناك.. دعينا
نرجع الى يوم احتفال..

هل تري يا روعي سماء الربيع طلعت وأشرقت ..
نورت البيت الذي فقد الكهرياء لملايين الساعات..

أمي تقول والكلام بمقطوعة الفرح وصل لي .. ها
قد جاءت السماء بعد طول انتظار.. بيوم أردنا أن
نجعله سعيد رغم أن السعادة تبرت منا.. جدران
البيوت كشف عن وجوها للسماء.. فالكل محتاج
الى النور ودفئ الرحمان...

... هلمو هلمو الى طاولة الغداء يا أحبي... بهذه
الجملة الأم نادتنا.. اجتمعنا منذ فترة كلنا..

ككل صباح .. كل رجل بالبيت يشق طريق البحث
عن عمل لاتيان الضروري ألا وهو الأكل

والشرب..وأي اكل وأي شرب .. كل منا يسحبها
من حدود فمه الى مقدمة فم أخيه..

الواحد من شهر مارس كان استثنائي منذ حلول
الاستثناء على سوريا .. الكل كان موجود على
طاولة الغداء المحتشمة ..

لكن الاشتياق لمثل هذه الجلسات جمعا كنا .. لا
الطعام العاري اليتيم سبب لمتنا واجتماعنا..

.. حبات زيتون أسود.. خبز يابس صاحب الأيام..
طماطم ذبلانه ولونها أزرق راجع لزعة كيائها
وسكنها بالخطر والخوف..

... الجبن نص بلون والنص الآخر صوف بلون
أزرق.. ابريق شاي خفيف جدا ..

.. أكلة أوراق العنب محشية بلب خبز مبلل في
الحليب.. القليل من القليل جدا من الخضار التي
تشبه الخضار..

..أجسامنا صارت نحيفة ..جد نحيفة..السبب ما
يفتقده الجسد من تغذية..ما تحتاجه..ما يتلاقاه
الروح والقلب من خوف ومصائب .. من أهات
والآلام وصدمات..

..نحافتنا لا تهم .. قلة معيشتنا وانعدامها لا يهم..
الراحة والأمان..الاستقرار والأمن..العيش أحرار
وبسلام هو الذي يهمنا..هو الذي نريده.. غذائنا هو
أيتها الروح..

جلسنا .. أكلنا .. حكيئا .. ضحكنا .. الحب والشوق..
الذكريات الرائعة كانت جالسة معنا..السيئ طردناه
من حولنا..

ها ها ها..ضحكاتنا كبيرة وواسعة كانت..أخذت
أكبر مساحة من جلستنا ومنا..أخذت القسط الأكبر
من الوقت ..

هاها ها ها..أول النطق كانت..هاهاها من
الكلمات .. الأحرف سرقت..هاها ها ها الضحك
على حالنا لا من سعادتنا..

رغم خفة الشاي لقلة ونقص بنه الا أنه كان أطيب شاي ..خفف من أرواحنا..من أحراننا وألامنا...

..وقتها..بوقت في الحفلة نفسي كانت تتساءل ما هذه البرودة التي نحن فيها؟

..هل فعلا تمكنا من التخلص مما نعانى منه؟

..من أين أتينا بهذه الابتسامات؟ .. الابتسامات التي لم أكن أراها مزيفة وان كانت هكذا ..فأنا بداخلي.. عند اعتقادي .. عند اعتقاد كل واحد فينا أنها فعلا صدرها القلب..

... غافلين.. ناسين .. جاهلين.. أن الحياة أضحكتنا في الدقائق الأخير.. أوهمتنا ..ضحكت علينا.. أوهمنا أنفسنا..

... الرحيل تقرب.. الوداع حدد مواعده.. الموت .. الموت رحيم عن الانسان.. رحيم لأنه أفرحنا صح ومع أن خاتمة الفرح الحزن.. الا أنه افرحنا في وقت ومكان لا وجود للفرح فيه..

...أخذنا جرعات مسكنة للألم.. اسم هذا المسكن ..
اسم هذا الدواء.. "السعادة الكاذبة" .. "السعادة
الوهمية" .. "الفرحة الخائنة" .. "البسمة المغشوشة
.."

... أخذنا حبات .. تخدرنا.. نام الحزن ..سقط
مؤلمنا.. ألمنا بلا وعي.. لساعات.. عند
الاستيقاظ.. عند نهاية المفعول والمنشط..سريع
الانتهاء كان.. فعاليته ضعيفة ..

... أفقنا على مصائب .. على كوارث ..

السوري .. سوريا لا تسكنها مسكنات العالم كله..

استيقظت عفاف على واقع دمرها.. دمرني.. لم
أصدقه الى اليوم.. لغاية هذه اللحظة..

... واقع كان الأخ الأكبر لاستعابي.. مهما حاولت
توقيف الزمن للحاق به فهو أكبر مني ..

..تبنتني الوحدة وأنا لا أريدها.. لا أتحملها.. لا
أطبقها صراحة..

..للوحدة قلت أغربي عني.. عني تخلي..بالبعيدة
كثيرا ودوما كوني..

الشيء المتعب..الشيء المؤلم يشتهي تعبى و ألمى
وصعوبة تحملى وعيشى واستمرارى..

.. ما ذنبى؟ ذنبى أننى سورية عربية.. ذنبى أن
عمى معارض.. وأبى مؤيد..أم ذنبى أنى لم أكن لا
هنا ولا هناك.. لا مع هذا ولا مع ذاك.. ذنبى أنى
اطلب الحرية والسلام..

أأه يا مدرستي .. أأه يا حلمى... أأه يا أملى ...
سامحوني ..لم أترككم برضايا.. برضى منى .. ما
لقناعتي يد فى ذلك..

.. أجبرت.. تركتكم والقلب يهواكم..رغبتي لا تزال
موصولة بكم.. لازلت أعشقكم وأود اللقاء..

يا أقلامى .. يا ألوانى.. يا رسوماتى..

... ضاع القلم منى..استبدلتكم بقلم هو مخيلتى.. فى
مخيلتى أرسم ألواح وأعلق..

.. بمخيلتي معرض لرسمية سورية اسمها عفاف ..

.. والله لو رأى عظماء الرسم.. فنانيين الكون كانوا
انحنو تحية وشكرا واعترافا بي..

.. لم يحصل ما أردته وتخيلته.. هل بانحناء
المعجبين المنبهرين لما تنتجه مخيلتي يلحق بهم
الدمار والعنف والحرب تسحقهم بسوريتنا؟ .. أم
أصبنا .. وتصيينا نحن السوريين فقط؟

.. انحنينا للحرية والسلام.. للأمن
والاستقرار.. انحنينا فأرضا دفنا..

عذرا أيها السوري الأخ.. عذرا يا وطني.. عذرا يا
عدو.. عذرا يا طاردنا.. يا مرحلنا.. من سوريتي
لن أهاجر.. بها ولدت وبك يا وطني أموت وأدفن..

بك يا سوريا الجد مات.. الأب قتل.. وبك البنت
تموت .. كيف؟ .. انتحارا.. استشهادا.. قتلا..
طبيعيا.. سوى بك أدفن.. وترابك فراشي وغطائي
يكون..

.. من ترابك يتغشى قبري.. الفراش لي يكون
تكرارا أكررها..

..أبي يناديني.. ينادي ابنته عفاف ب "زهرة
مملكتي" ...

ومرات ب "قرة العين " .. ب " بهجة الروح " ..

.. أخي الأصغر.. أصغر مني .. هذا الأخ ب "
دميتي المدللة " يناديني.. ب " لعبتي المحبوبة " ..
ب " رفيقتي المخلصة " .. المخلصة عند
الدمار.. اليد الممتدة لي وأنا على حافة النار
والخطر.. منجدي .. مساعدتي.. معالجتي أنتي
عفاف.. ب " أمي الصغيرة" ..

..الأم الصغير لحمزة أنا.. ابني الصغير هو
عندي..

مسميات كثيرة وعديدة ومتنوعة حظيت أنا بها ..
وخصوني بها الأحباب.. أنا عندهم خاصة جدا وهم
عندي خاصون جدا..

.. أهلي بالفراشة المبتسمة البريئة يسمونني..
الملاك الهادئ قرصايا تعرفني.. شاربة العصير
الأحمر بليلة احتفال بسوريا.. بكل شبر ومكان..
من هذا اشتهرت..

.. صاحبة الوجه المبشر.. الوجه الذي رغم الحزن
فالوجه مستبشر.. بشوش ومنور وجه عفاف..

... وجه سعيد والقلب ممزق والروح في النار
تتخبط.. والعقل في الموت سوى يخطط ويفكر
ويجهز.. والجسد المشرد في أزقتك يا قرصايا
بعشر سنابل كبر..

.. الجسد.. جسدي المغتصب لثياب العيد يفقد..
عاريا وكسوته ثوب تحرر من نار العذاب..

الفسستان.. فستان أحلامي.. من سوق السلام.. من
محل الراحة و الأمن و السلام تم شرائه بالمجان..
بالاهداء لعفاف يقدم.. صدقة يمنح لا بأس في
ذلك..

مشتاقة للاهتمام أنا.. لا أحد يهتم بي .. الحب من حولي اختفى.. سببه لا اهتمام..

الاهتمام انسان غاب ورحل من عالمي.. من عالمنا.. مات ولم يكن له وارث وحتى ورثته ماتو معه..

.. كل شيء كان متوفر .. موجود بيوم الاحتفال.. ضيوفا هم كانوا..

.. كل شيء جاء لتوديعنا.. لتوديعي..ومن هذا الوداع لم ننتبه.. لا بالأذكىاء كنا.. لم نكن.. الانتباه خاننا..

... فتحنا الباب.. الأبواب استجابت
لاستقبالهم..دخلوا.. جلسوا.. أقامو معنا الى غاية
حلول ليلة الاحتفال.. أين غادرو بعد مكوثهم
قليلا..كالظل الخفيف القصير كانوا..

.. انصرافكم يا كل شيء.. رحيلكم جلب.. أدخل
عكسكم وضدكم.. بأعلى صوت ناديت.. ناديتهم..
ناديتكم بالدمع.. بالتوسل .. بالترجي..بالامساك..

لكن.. للأسف.. يا أسفاه.. السفلة .. الوحوش..
أصحاب اللذة الوحشية الاجرامية قطعوا الطريق
بيننا.. أمحوا كل ما يوصلنا لبعض ويوقعنا في
نقطة اللقاء المشتركة التي يصعب تفكيكها
واخفائها...

.. هم ذهبوا ونحن بقينا.. هم نجو.. ونحن بالأيد
العاشقة للدم وقعنا..

أرواحنا بقبضة الذي لا يرحم كانت.. أمام أرجلهم كالزربية الممزقة انفرشت أجسامنا.. أرواحنا..

..معاقبنا فرشو وألبسو أرضية المنزل طهرنا
وبرائتنا بمشاهد رعب وهلع لا يقوى القلب الرحيم
.. الحنون على مشاهدتنا ..

عفاف.. عفاااااالف.. يا عفاااااف كفاك.. كفاني
كسلا وتهرب..

...هيا عفااااا.. هيااااا فلم يبقى أمانا وقت
والكيك على وشك ظهوره الأخير..

أنا قادمة يا أمي .. ها أنا أمامك ... بما تأمريني؟ ..
سافعل .. بسرة كبيرة أجعلك تنبهرين مني ..

هاهاها .. حديثك كله مسلي يا ابنتي .. المشكلة أنه
ليس لدينا وقت للعب واللهو والمرح .. فلا بد لليد
أن تنجز .. واللسان يستريح .. عمل اللسان بيتدي
عند استراحة اليد والجسد ..

منك يا حبيبتي تعلمت عند الفعل لا مكان
للكلام .. فالكلام يذهب التركيز ..

منك يا أمي الحب تعلمت .. منك عبر الأزمان
عشته وأنا غبت ..

.. والله منك واجهت العصر والقدر .. رسمت
الأمل وكبرت ..

لكي يا أماه .. لكي الروح أفدي وللتضحية خبت ..
لكن الدم أسكب فداء بقائنا ووجودنا معا .. معي
أكون ..

هل أنتي تشمين يا أمي الرائحة العطرة المنبعثة
من الفرن.. من الكيك المحمول بيديك.. لا أقوى
على الصبر أنا.. لا بد للذوق عند عفاف أن
يستريح..

.. حسنا .. حسنا.. مدي اصبع من أصابعك العشر
فوق الكيك .. يلتصق طلائها .. الطلاء الذي تلبسه
الكيك.. منه نعطي تصبيرة صغيرة لذوقك الى أن
يحين موعد العزف على أغنية.. "عيد ميلاد سعيد
"بصوت.. بأصواتنا الكل..

.. الصبر جميل يا صغيرتي..

الصبر في أوضاعي يا روح عفاف ليس بالجميل
بتاتا..

..حتى الصبر صار عدوا لي مع أني صاحبه..
رافقه طيلة حياتي.. طيلة معاناتي..

.. الصبر صاحبه السوريين.. لا يزالون في صحبة
متينة..

.. عذرا يا صبر لا أقصد جرحك.. لا أقصد التقليل
منك.. لا أقصد اهانتك.. لا أقصد نكر فوائدك.. وأنتك
الفرج.. لكن عفاف تؤمن.. عفاف تقول " الصبر
ان طال زال وده " ..

كيف أصبر وحازم.. زوجته سناء.. أولادي الثلاثة
التي لم تحملهم بطني.. لم أنجبهم.. " اسلام..
رؤوف.. رنا " .. هؤلاء لم يعودو كقبل
يلعبون.. معهم أجري وأختبأ .. برائتهم من برائتي..
معهم أنا.. عفاف معهم ابنة العامين..
أين أنت يا ماهر.. أين أراضيك يا مصعب..
اشتقت اليكم.. شوقي يقتلني..

.. هل التقيت يا ماهر .. يا أخي العزيز.. أيها
الغالي بزوجتك هدى وجنينها.. ابنكم الذي لم يرى
النور سوى بالجنة.. هل تم اللقاء؟ .. أريد
المعرفة.. أود الاطمئنان عليكم.. أنتم بالجنة سويا
متأكدة .. أحياء وتتعمون بأفضل حياة..

.. ها يا ماهر قد لحقت بكم.. بعد وفاتكم في حادث
مروع بنفس مكانكم رحلت ورفعت.. العدو
بصاروخ وجه باتجاه منزل عائلة هدى أين كانت
بزيارتهم.. العدو نجاها من نار الفراق والألم
لغيابك..

.. لم .. لن أنسى مشهد جنينكم.. ابن أخي الذي بقي
على ولادته أيام وهو يقول "كفانا" .. من بطن أمه
خرج يبكي.. أنين بكائه لثواني لم يصل .. تحول
بكائه الى بسمة بها شهيد لقب .. الجنة معكم سكن
وفاز..

.. أعلم أنا .. عفاف أختك تعلم يا ماهر كم تألمت
لفراقها قبلك الذي لم يطل, وكنت أنت بجوارها..

.. حزنك يا ماهر الكبير .. حزنك الكثير.. ألمك
الضخم.. ألمك العظيم.. حزنك.. ألمك أوصل بحبك
الحقيقي شهيدا في قبر وضع .. الروح طارت الى
السما.. ما فوق السماء.. فوقها فوقها.. عاليا..

.. اشتقت اليك.. ملهوفة لرؤياك يا مصعب.. يا شقيقي الذي لم تلده أم.. أنا قريبة الوصول منك.. اليك.. الخبر المبشر المسعد لك معي أت.. ستفرح به..

...حبيبتيك.. خطيبتيك سلاف انتظرت موعد اللقاء.. انتظرها يا مصعب فعلى وصولها اليك بقي القليل منه.. على قدميها عندك حان.. استقبلها.. بدقائق تستقبلني.. نجتمع الكل بجنة الرحمان.. بمكان...

.. سنكون سويا بحيث لن يتمكن العدو من الوصول الينا.. لا للموت أن يطرق أرواحنا.. لا للخوف والألم أن يقترب منا..

.. سنبني حياة كما نتمناها وأكثر.. سنجتمع من جديد وأي قوة لن تفرقنا.. لن تزعزع كياننا فالقوة الالهية ستحمينا والملائكة ستحرسنا..

.. هناك.. في الأفق بكثير سوف نكون ولسوريتنا ندعي ونصلي.. فهي بالقلب ولن تموت سوريا.. هي

الروح التي ستحيا من جديد.. وهذه المرة لن يكون هناك لقاء بينها وبين الموت..

اخوتي.. اخوة عفاف.. كنتم الذكر والأنثى.. لم أشعر يوما.. لم أتمنى.. لم أتحصر على أنه ليس لي أخت.. كنتم الأخ والأخت.. بكم عفاف تفخر.. عند الحديث عنكم تخاف نفسها أن تحسد..

.. نعم الاخوة كنتم.. دمعتي على أيديكم المارة بحنان عليها جد محتاجة أنا.. لهذا.. على هذا اعتادت دمعتي.. من الشوق القاتل حنفية تسيل دون توقف يا احبتي..

تبا لكل من فكر.. خطط.. نفذ لعملية ابعادنا وتفرقنا.. لعملية تدميرنا..

.. مغفلون .. أغبياء .. نسو أن عائلة محمد ديب طاهر أن الموت قربهم.. جمعهم.. ببقعة لن يدخلوها ومنها عليهم نرى عذابهم الأعظم المنتظر.. نهايتهم المشينة..

...افرح يا قاتل..أسعد يا عدو..اليوم أنتم فزتم.. غدا
موعد فوزنا ..عليكم فوزنا.. بالدنيا خسرنا ..وأنتم
كسبتم..بالأخرة نحن نضحك وأنتم
خاسرون..تحترقون والسوري البريئ المظلوم
لاحتر اقم يتلذذ...

ليلة احتفالنا ستمر عليها آلاف المرات ونحتفل يا
مخربها..يا ناهيها..يا محولها لأبشع ما يكون..
أتية أنا يا أحبائي.. يا أحبتي..أتية وبالتكرار الممرار
نكرر.." احتفالنا بكل ليلة سنقيم احتفال..ننهي بهم
حرارة الشوق وسمه ...نعيد سيناريو احتفالنا
الأخير .. نبدأه.. نتوسطه.. نختمه فرحا وبهجة مثل
ما بدأناه... رقصا على أوتار وموسيقى الراحة
والأمن والاستقرار نحياه وننهيه..
..سأرقص وأغني ليلا نهارا..هكذا ستكون عفاف..

.. كل شهيد.. مظلوم سوري بحالتنا.. أكبر من
حالتنا.. أقل من حالتنا مع أني لا أظن وأتوقع
وأصدق..سيكونون.. يرقصون لغنائنا..من غنائنا

يرقصون.. رقصا غناء .. غناء
رقصا.. نشتركون.. نتبادل.. نتشابه.. نتساوا ..

لرحيلي.. لموتي.. ليست بالحزينة عفاف.. بالفرحة
المتشوقة.. الراغبة.. الملهوفة.. المستعجلة..
المسرعة هي روعي للموت..

سئمت من الحياة.. أنتم الذين فوقي خلصت من
الحياة.. أنا سأخلص .. سأخلص حياتي المأساوية
الوحشية المرعبة المخيفة الخطيرة مني..

..أنتم بعثتكم الدنيا الى دنيا ما أحسن منها.. عفاف
الى دنيا الأحبة طالبة.. راجية للانضمام
اليها.. والعيش الأبدى معكم فيها..

منذ ليلة الاحتفال.. قبلها يائسة .. كارهة عفاف..
بعد ليلة الاحتفال ميتة الوجود والانفعال والتواصل
مع الحياة أنا...

بعد ليلة احتفال لم يتغير شيء... تغير كل
شيء.. الى الأسوء توقفت وركنت بي المركبة..

...لم تعد تهمني الحياة.. عفاف عندها الحياة لا
تهمها.. رغبة الاستمرار وتقبل الحياة هته.. مع
الذي غادروني.. غادروكي يا حياة..معهم
غادرت..لست أنا فيكي.. لا أحس بالحياة فهي لم
تحس بي..

.. بسوريا لم أعد أقوى .. لا بمستطاعي التحمل
والعيش أكثر بأراضيك يا وطني..خارجك يا
سوريا.. أنا سمكة ان خرجت من البحر تموت..

ليلة احتفال خانتنا.. أدخلت على حفلتنا
الغرباء..بالقوة دخلوا..لم نعلم.. لم نخبر.. لم ندعو
أحد..حفلة في اطار عائلي بحث كانت فقط...

... من أخبرهم أن هناك عائلة بسوريا..بقرصايا
تقوم بتحديث المعاش..غيرته باقامة حفلة..قررت
فيها القلوب والأرواح دخول عالم السعادة والفرحة
قوة واحتلالا, ومهما يكلف يكلف..وبالاختلاف عن
كل منزل سوري نتميز ونكون..

أيتها الروح.. يا روح عفاف.. هاهاها... منا العدو
غار.. هاهاها.. دعيني أضحك.. أضحك..
أضحك.. هاهاها...

جدراننا ملونة... أسقفنا باللونات... الأرضية
بالأرجل ممتلئة.. الوسط بالأوجه المبتسمة
والقلوب الراقصة الطائرة فيما بينها.. من حيز بيت
محمد الذيب طاهر لم تخرج..

... قالب الحلوى.. من حولنا.. من حوله ملتفون..
راغبين في لمس.. مشتهون لتذوقه.. والبصر جد
فرح بوجوده وجلوسه الملكي بيننا...

صغيرتي المدللة.. بنيتي الغالية انصرفي أنتي
وأماك من المطبخ الآن.. انصرفو قرب الأب واقفا
يؤمركم بذلك الحين...

أختي العزيزة عفاف.. أين أنتي.. "عيد ميلاد
سعيد..

... حازم وزوجته.. الثلاثي المرح معهم.. ها قد
جاؤوا... هل من ترحيب؟ ...

أمي .. يا أمي.. أماااااااه... يا والدة عروسة
الليلة.. ماهر لا يستطيع مقاومة ما بالمطبخ...

عفاف يا سندريلا ليلة الاحتفال.. مصعب قلق بشأن
مرور الوقت.. من ضياعه وكل واحد
بمكان.. عجلي.. عجلا.. فصالون البيت سينطق من
تأخر كما.. السعادة مستعجلة ومتى رحيلها لا نعلم..
فعجلوا رجاءا..

أيتها الملاك.. يا حبيبة الوجدان.. أنتي يا عفاف
حمزة خائف وأنت بخطوات بعيدتان.. حمزة
لعصير ليلة الاحتفال ينتظر..

.. حمزة يتلذذ لعصير البرتقال الممزوج بالليمون
المجهز المصنوع من أيدي أميرة الحنان والطيبة
...

.. ها أنا يا من بأرقى الكلمات والأسامي
تنادونني... ها أنا يا من سعادتي بسببكم
وبوجودكم..

... ها عفاف .. ها أنا جئت .. قدمت .. ملبية نداء كل واحد ..

... ها أنا أمامكم وجد سعيدة لتواجدكم .. لتلبية دعوة الاحتفال بي ومعى بيوم زيارتي الى هذه الحياة قبل سبعة عشر سنة .. من هذا اليوم رزقتم بي ورزقت بكم .. كنت هديتكم وكنت هديتي ... منكم أنا ... مني أنتم ...

.. الحياة لم تبخل لا عليا ولا عليكم بيوم فرحة واحد .. الحرب التي بسوريا دفنت فرحتنا .. فرحتي للأبد ..

.. ها أنا وأشكركم على محاولتكم لاسعادي وخلق جو مغاير مليء بنسمات البسمة لي ولكم ..

... ها أنا وحمدا انتصرنا انتصار وقتي .. مؤقت على النزيف الذي غرقنا في نهره .. لا هو بحر ففي بحره .. من بحره استطعنا .. تمكنا السباحة والوصول الى شط السعادة والجو المريح , باقامتنا

لهذا الحفل الذي أود ان يكون مقام بكل ليلة ولكل فرد منا.. عندما ننتهي نكرر..

.. لا تكفيني عيد ميلاد واحد.. لعفاف عشرة.. لك عشرون.. الآخر ثلاثون.. الأخير أربعون.. بهذا تكون كل أيامنا احتفالات.. كل أيامنا أعياد.. وان كان الحزن.. ان مازال الحزن يلاننا.. معنا ندخله في الاحتفال.. تتغير.. نغير ملابس.. زيه.. ولبائنا يتألق.. معه نتألق..

.. ها أنا .. ها أنا وأنتم معا.. اتحادا.. رغبة جماعية أوجدنا السعادة.. خلقناها.. أحييناها بعالم وكون ومحيط الحزن.. الألم والمعاناة..

... ها قد جلبناها.. فالشخص له أن يسعد نفسه.. يسعد من حوله.. هو مفتاح السعادة .. له قفل الحزن.. لكن.. لكن.. لكن.. بوضعنا.. بمكاننا.. بسوريتنا.. كل شيء ليس للابرياء يد فيه.. صعب جدا تغيير ما ألت اليه وردتنا التي رائحتها

غابت.. ذبلت.. لونها يتغير ويخيف البصر ولا
يطمئن القلب ويريح الروح والنفس..

ها أنا.. اتمنى.. عفاف تتمنى أن نبقى جنبا لجنب
بكل الأوقات وتحت أي الظروف..

... ها أنا.. القلب كبير .. انفتح عند انفتاح الصدر..
فريح الراحة عليه دخلت.. أحيت مشاعر
وأحاسيس الاطمئنان والفرحة و...

... ها أنا.. يا من أعرف العيش سوى معكم..
معهم...

... ها أنا.. يا من بكم ومنكم الشجاعة تعلمت
وأخذت..

... ها أنا.. يا من أنتم الهواء والأكسجين الذي
يمنح لروح عفاف الحياة الحقيقية...

... ها أنا.. يا من لبعدمكم أنتهي.. أموت ايه والله...

... ها أنا.. يا منابع الأمان والاستقرار.. الراحة
والسلام...

... ها أنا ..بينكم أنا.. عفاف بجواركم..معكم أضع
يدي فوق أيديكم..أدخل الأصابع في عنكبوت
التمسك واللا انفصال...

... ها أنا.. ليس لي مكان الا حولكم.. الا بالقرب
معكم.. الا بأوساطكم..

... ها أنا.. الروح والجسد الذي به عفاف أمنحها
هدية .. تضحية فداء بقائنا واستمرارنا هكذا.. دوما
وأكثر..

... ها أنا.. أنا مصطحبة معي أساسيات الحفل..
تورته عيد الميلاد الصغيرة.. باليمين هي.. اناء
العصير باليسار.. عليهم نتشارك..نتقاسم الضحك
وأهاته..

...الرقص واهتزازاته..الغناء ورناته..الأكل مع
قناعاته.. قناعاتنا..

... ها أنا.. فاليصفق الجميع..من حولي دائرة
مشكلة.. مركزها تورته وعصير..على حواشيها
الأحباب..

... ها أنا .. أغني.. أغنية العيد ميلاد معكم
أرد... بصوت ناسي للحرز.. لا بالحزين... غابت
نبرات الحزن في صوتنا...

... ها أنا .. أنا وضعت .. عفاف وضعت الأمنية
ببئر صمت اللسان... بنفس أسمعها.. لكم أعلن ما
سمعت.. معي.. كل واحد بعيد.. يتمنى ... الكل
يتمنى.. كأن العيد عيده.. عيدهم... عيدي عيدهم..
.. ليلة احتفال هته خصصت لنا .. هذا الاحتفال
المتواجد هنا به.. هو عيد احتفال .. به.. فأنا وأنتم..
أنتم وأنا.. نحن.. ايه والله عائلة محمد ديب طاهر
جسد واحد.. أرواح ان اجتمعت كانت بالروح
الواحدة حتما.. أكيد.. طبعاً..

مهلا .. مهلا.. ابعدوا الأيدي.. أنزلوا الأصابع..
التصفيق أولاً..

... تلحين أحزاننا وألما في مقطوعة مفرحة..
شفافة.. مرتدية لدربكات ونغمات

مرقصة..مدندنة..التصفيق معهما.. التصفيق
مساعدهما.. صفقوا اذن.. صفقوا..
نصفق..صفق..أصفق..

.. عفاف.. عيدها الجديد.. عيد ميلادك..
ميلادنا..عن الحزن العيد بعيد.. نحن
بعيدون..عمرنا الأتي سعيد.. سوريتنا قريبا تعيد..
البعيد يعود.. القريب بالاستيقاظ على سلام الأرض
يحيا من جديد...

.. بصوت مرتفع... صوتنا في شكل أغنية.. " عيد
ميلاد سعيد عفاف.. "غنيا.. أغنيتنا كانت..

.. عيد ميلاد سعيد.. سعادتك من سعادتنا..
سعادتي من سعادتك..

... أيامنا أسعد بهذا العيد.. القادم أسعد.. الأيام
سعيدة .. من الفرحة قريبة.. من الألم والحزن
بعيدة.. عيد ميلاد سعيد.. سنة جميلة.. سنة حلوة..
سنة رائعة علينا..

بالأذن أصواتهم يا روح عفاف... يا روحي..
بالعين مسلسلاتنا.. بالفم الأحرف .. أحرف الرد..
قبلات لا بأس نحن هنا..

... باليد اللمسات والاحتواء.. بالصدر الأحضان
والضمات.. الدفئ والحنان...

... بالقلب مجزرة حولت الموجود غائب.. الحي
ميت.. الجبان شجاع.. الرحيل لا البقاء.. كسب
الأخرة وترك الدنيا..

... مجزرة يتيمة .. مشردة .. متشردة ..

... الروح بالسما .. الجسد بالأرض.. حولتني..

.. الدقائق .. السنوات صاروا.. الوقت عندي
توقفت عقاربه عن الدوران..

..الموت في مكانه باقيا ينتظر رجوع عقارب
الأزمان لأخذ الحق بالروح..

أنت يا روح عفاف.. أنت أيتها الروح .. من ليلة
المجزرة.. من ليلة احتفال.. صرتي .. أصبحتي..

روحا جامدة.. روحا لم تحركها.. لا تحركها .. لا
السعادة الغائبة .. لا الفرحة المنفية.. لا الحلم
المنتظر .. لا الأمل..

.. روحا سائلة بكأس .. مسكوبة فوق حجارة
دائرية..موضوعة.. ريح الشرق يزعرعها.. ريح
الغرب تحركها..الهزة الملساء .. بالتحت فاس
يضرب الأرض.. ضربات بسابعها
أكون..والغطاء عني فوق مكشوف.. لا يخنقني..ولا
يهويني..

... حجرة أفقها يحاول سحب الكأس الى
العلا..الذي بينهما عدو.. حكم عليا بالموت..الموت
البطيء..

... يحرمني من الشهادة.. الشهادة المعجلة..
بالمؤجل الطويل هو وعدني.. هو يعاقبني..

.. روح عفاف عن الذي فيه ترفض.. تود اسقاط
الكأس بقوة ارادية.. برغبة شجاعة..ينكسر الكأس

فتسقط شظاياه وأجزائه الى الحفرة العميقة وما
كان بداخله..

... اللعبة التي تسلي بها الكثير في الدنيا.. تتسرب
هاربة الى السماء.. ما بعد السماء لأن الأرواح
التي رحلت قبلها .. هناك تنتظر..تنتظرها
بجسد..بشكل.. بهيئة.. بحياة.. بعالم.. يكون جديد
يردونني أن أشاركهم به.. أتقاسم النعيم معهم..
لما يا موت لم تؤتي لي الحين.. الحق بي بالله
عليك.. فما بعدك.. ما قبلك .. الانتحار .. النار
يهديني هو..

.. الى الأحبة أتوق الذهاب..معهم عاشقة أن أوجد
وأكون..

بأمر من الخالق يا موت تعالا..بشر الروح بانتهاء
العمر.. حينها خالقي الجنة يمنحني.. يعطيني..

... الجحيم عشته..النار من لهيبها انكويت..وما بعد
هذا سوى النعيم.. سوى ما أستحق.. يستحق
السوري.. سوريتنا..

... الجنة بها سأكون.. سنكون.. أي درجات.. أي بيت من بيوت الجنة أكون.. نكون.. لا يهم.. يهم أن أكون.. أن تكون..

.. من أهلي قريبة .. من مسكني أخرج الى مسكنهم..

... زائرة أذهب.. أطمئن عنهم.. أعيش ولو بعض الدقائق معهم..

... الى منطقتي أعود.. مرة بالأسبوع أراهم.. يروني موفقة.. وممتاز هكذا.. الأهم بالأرض لا أكون..

اشتهيت النوم.. لفراش مريح أمن اشتقت..

... العين للأمان تحن... لابتعاد الخوف عنها هي تتوسل.. لمنجبه انحنيت..

... توسلت.. ركعت... بكيت ... بهم التحقت.. فطابت.. ترجيت.. أن يجعلوني ضحية ومن عليها طبقت المجزرة...

... لكن رحلو وهم يضحكون.. لم يسمعوني..
تعمدوا ذلك... هم يعلمون أن لحظتها مت.. وحية
لازلت.. لا أزال.. جدا للنهاية قربت..

.. المشاهدة قتلتني.. شاهدتهم طارحين.. قتلة..
ميتين.. جثث بشعة..

... مخرج فيلم فسحتنا مع الموت.. من الأموات
أنا.. من الأحياء الأموات عفاف.. كنت.. لكن
طريقة قتلي.. عن القتل المعروف ابتعدت.. بالنادر
من النادر الحصول قتلت..

لم أكن أتوقع... أتخيل.. أنه في يوم من الأيام سمائنا
ظلماء... مظلمة بشدة تصير.. النور يتبرى
منا.. سوى التعب.. المعاناة طعامنا اليومي...

... ودماء المظلومين والضعفاء.. الأبرياء.. ماء
نشر به.. نراه كل لحظة.. متوفر بكل الأوقات...

... نجبر على شربه.. تحاصرنا الينابيع.. الحنفيات
المتسربة تحت أرجلنا.. وبكل مكان.. نذهب معه..

تجرنا.. قوة الدماء الجارية.. تجرنا الى أين؟ .. الى
ما أرادت..

... الأحمر يلزمنا.. غيرنا.. لون أحبه.. كرهته
لأنه لون الدم..

الأنابيب أوصلت بحر الدماء الى محيطنا الجديد..
الهاربين اليه.. فاضت السدود وامتلات ..

... كنا .. لا نزال أسماك أليفة .. خائفة من أنفسها
وهي في هذا البحر.. خائفة بما فيه..

... من نهر الى نهر.. من شاطئ الى شاطئ
يوصلونني.. منه يسحبونني ثانية الى نهر.. الى
نهر ببحر صار..

رقصت كثيرا.. رقصنا مع الحياة والموت..

... الدبكة حركت الأجساد الى حركات جنونية..
رقصات لم توجد بأيها زمان ولا مكان..

... رقصاتنا.. رقصتي.. رقصتكم ..بالجديد كانت..
بالمختلفة هي بسوريا.. بقرصايا.. ببيتنا.. عندنا
كانت..

... نرقص ولا نعرف ان كانت الفرحة الخائنة..
المخادعة السبب.. أو الحزن الذي فينا الى جنون
تحول..الى مرض علاجه الرقص على آلات
الموت ... الوداع والقتل.. السفك والسفح والسلب..
نرقص .. نغني.. نحوم ولا ندري أن الأرواح تتهياً
للرحيل..للخروج..

... لا نعلم أن عزرائيل الانسان أت في هذه
الأوقات..على اثر هذا الجو الذي فعلا.. والله يا
روح عفاف نسينا فيه من نحن.. فقدنا الاحساس
بالموجود .. بالخارج..

التوراة قطعنا.. الى جدران .. حائط رقيق..
بالمتموسط قسمنا تورتننا..

.. في الصحن وضعنا لكل واحد نصيبه من
عيده.. من حلاوة حفلتنا.. من رمز ليلة الاحتفال
أصحن بها قطع التورتة بالأيد حملنا..

... الاصبعين .. بالارتكاز الثلاث الملعة حملنا..

... رجفة اللهفة الى التدوق تقطع تسريحة جدران
التورتة .. بشراصة أريد التدوق...

.. الذي أكمل صحنه ... الذي أعطى من نصيبه
المتبقي للذي لا يهدى الجوع .. الشبع .. رغبة
المزيد عنده...

استعنا بالفناجل ذات الحجم الصغير... ملأناهم
بعصير الأخوين من الفاكهة .. البرتقال
والليمون.. المخففين بالأخ الروحاني .. الماء..

.. شربنا.. تعصرنا لحماضة الليمون.. الحماضة
التي بدأت تفتح الأحضان لحماضة النهاية..
لحماضة الوداع المفاجئ بمفاجعة مخططة.. بكت
لها السماء فأمرت.. صاحت لها الأرض
فجفت...

قلنا لا للنوم الليلة .. النوم لم يسمعنا .. ألبس الأحبة
النوم الأبدى .. لكنه نوم مريح .. للأمانة والشهادة
جد مريح نومكم يا أحبتي ...

.. أدخلهم الغيبوبة .. غيبوبة غطائها .. فراشها تراب ..
.. غرفتها قبر .. وأي قبر .. قبر الشهيد وما أدراك
ما الشهيد ..

هم ناموا .. ارتاحو .. وعفاف لا تنام .. تنام على
خوف وبكاء .. ترى كوايبس .. مشاهد تطرح النوم
فرعا في الحين .. تزداد دقائق .. نبضات
القلب .. يتشتت العقل .. يهتز الجسد .. والروح تنهياً
للصعود ..

... تغمض عيناها لترى الراحة ساعات .. نفس
الشبح بالنهار يلحق بها ليلاً ... يستغل وحدتها ..
وحشتها .. يفعل بها فعلته الأخيرة ...

رغبنا .. أردنا أن نلبس الأسود في ظلام أسود ..
داكن .. لا قمراً .. لا نجوم بالسما ..

... أردنا أن نكون نحن نجوم بسماء الوطن.. بليلة
الاحتفال.. فنسكن هذا الليل.. الليلة.. نحمل
أرواحنا.. نضيء كل الزوايا والبقع بسوريتنا ,
ليستطيع أن ينام ويهناً السوري بليلته هته...
... لا ينام.. هو خائف.. محتاط.. سوى ينتظر
دخول الخطر عليه.. وخنقه بأي لحظة..
... هو ينتقل من هنا .. الى هناك باحثاً عن مأوى
رحيم .. بليال يرحمه..
أكون أنا قمراً والباقي نجوم.. أو أحداً قمر والباقي
نجوم.. كلنا قمراً ونجوما..
لا يهم.. لكن تمنينا.. تخيلنا.. كنا هكذا فوق
سطحنا... نعلو مأوانا.. كنا القمر والنجوم..
... عدد النجوم لم تطرد الوحوش النهارية.. ولا
الأشباح الليلية..
عجزنا.. تحالفت الدنيا والقدر والزمن علينا..
غلبونا..

..جثث صغيرة وكبيرة.. أرضا أرضا.. بالعمق
العميق حطوها..وبالعالى علاء رفعنا.. نسوا
ذلك...

تمنيت أن نكون أجساد مطاطية.. جسد لحمه
حديد.. شيء صلب يتصدى للرصاص.. يطرد
السلح الأبيض.. يقاوم للمفجرات... لا يتزعزع..
لا يتغير.. لا يتحول بفعل القنابل والصواريخ..

... رغبنا بأجساد حديدية.. لا يؤثر فيها
الرصاص.. لا يمزقها السكين.. لا تنزف دما.. لا
تتخبط الأرواح عذاب مرات مرات..

...أجسام شفافة لا تمسك.. لا تستهدف... يصعب
تحديد مكانها..نراها ونعجز في الوصول إليها...

أردنا... نريد أن نموت بسلام.. نريد أن تهناً
أرواحنا.. ترسل الأرواح.. الأجساد بكرامة..

...نود أن ندفن الجسم.. الجثة ذات جثة مكتملة.. ها
هو الرأس.. ها هو الرجل.. ها هي اليد.. ها
هي... و...

بلا جروح.. بلا بقع.. بلا أثار.. بلا حفر.. بلا دم
يغير ملامحنا.. دون بشاعة تزيح الجمال
الروحاني والظاهري عنا.. بلوننا نظل ونرحل...

...الخوف.. الجوع.. العطش.. الحرمان..
الحنن.. يقتلوننا.. يقتلنا.. دعونا نموت بلا استعمالنا
لألا تكمل.. دون لعب دور من يتلذذو علينا في
الانتقام.. في القتل.. في ...

... دعونا نرحل بسلام.. نرقد رقدتنا الأخيرة بلا
تطبيق أبشع الطرق.. طرق التعذيب.. وسائل
القتل.. و... علينا..

... افهموا نحن بشر.. ان كنت.. كنتم فعلا بشر
ستفهمون..

... لستم ببشر.. مستحيل... أنتم بغير ذلك.. من أي
فصيلة أنتم... من غير فصيلة البشر أنتم... متأكدة..
رجاء لا تقنعوني.. بغير هذا لن أصدق..

لما أوصلتموني لما أنا فيه.. الى الانتحار قرارا
نهائيا دفعتموني.. منكم لله.. حسبيا الله ونعم الوكيل

فيك يا محطمننا .. يا مهدم سوريتنا .. يا عدونا لنا
رب كبير لا فوقه أحد ..

... أنا ... عفاف انسانة والله كرمني .. وأنت .. يا
عدوي .. يا خائننا .. أهنتني .. لماذا ؟ .. أريد الرد ..
لأنني بنت معتقل سابق .. لأنني بنت منتمي الى
الاخوان المسلمين .. أم لأنني بنت الجريحة
النازفة .. لماذا ؟ .. بالله عليكم أحدا يخبرني ..

... يا روحي .. يا روح .. أيتها الساكنة بي بعد
هدئي رجاءا .. لا أقوى على الانفعال .. قويني ..
على الرد تثبتيني ...

... كتابي لم تكتمل أحداثه بعد .. أيتها الروح قبل
نطق الكلمات الأخيرة كوني قد وضعتي
النهاية .. هيئتي اليها .. سويا نطبقها ..

.. اياك يا روح تخالفي الاتفاق .. تسقطي القرار ..
اني لا أود التراجع ..

.. اهدئي يا عفاف .. اهدئي .. اهدئي أنتي كلك .. هيا
براحة وتأنى أكلمي .. أ قلبي الصفحات .. بعد زيارة

كل واحدة نمزقها.. ترحلي فارغة.. تاركة الأوراق
ممزقة اي نعم.. كما مزقت ايامك .. وتكسرت
أحلامك.. وتحطمت حياتك وأحرق عمرك

... نحن نأخذ ونسرق من اللحظات والدقائق القليل
من ساعات الراحة والسعادة..

.. كان الحزن والخطر.. الخوف.. بيننا جدار ..
يجهز نفسه لكسره وازاحته من الدخول اليها..

الوحوش البرية كانوا ملثمين.. الأعداء لبسوا الأقنعة
الوحشية.. قلوب القلوب ناحية السواد والجماد..
بثلاجة اللاشعور.. اللا شفقة.. لا عاطفة وضعوا
الاحساس والشعور.. العاطفة والقلب لوقت..
تجمدوا.. غاب الضمير معهم.. تحول الصبر الى
عاشق .. الى مشاهد للأرواح تتخبط..

... الدم يتطاير.. العضو عن العضو ينفصل..
الجثث الأرجل مرمية..

.. أظن ان هناك دواء أيها العدو تتناوله.. يساعدك
على فعل فعلتك.. لانتاج البشع .. الذي لا يتصور..

ليس لقلب أن يفعل ما تفعلوه.. وفعلتموه.. لا يعقل
ما يصدر منكم..

... من اين أتوا بهذه الجرأة والشجاعة.. أين درسو
وتعلمو طرق القتل والتفنن فيه.. أي مدرسة
تخرجتم منها.. أي أسرة تربيتم وترعرعتم فيها..
الى أي دين .. أي دين تتبعون.. لا دين لكم ..

.. القلب فرح.. الوجه مبتسم.. لذة القتل والتعذيب
عندهم.. عندكم لا تشبع.. ليس لها من النهاية
نصيب..

... هم جراثيم .. لا فيروسات.. لا أمراض تحيط
بالأجساد.. تحاصر الأرواح.. أشباح مطاردة..
مرض خارجي يقضي على غطاء الروح.. يمزقه
قبل تمزيقها.. لا يدع لك فرصة للعلاج.. الدواء
مفقود.. مقطوع.. لا وجود له.. لم يتم اكتشافه بعد..
لا لأخذ الدواء.. تمرض من هنا .. تموت من
هناك..

.. غطوا أوجهم .. سوى الأعين تركوهم .. كشفو
عنهم .. ليرو أفعالهم .. جرائمهم .. ليرو ونحن
نتوسل .. نترجاهم .. نحب على أيديهم .. نركع لهم ..
نسقط أرضا أخذين الرجل لتقبيلها .. ليرو أنهم فعلا
تم القضاء علينا .. الحياة سلبت منا كليا .. لا أمل من
النجاة أبدا .. وأخذ النصيب الجيد ..

نحن مازلنا بالجو الذي اخترعناه .. خلقناه .. هم
بالجو الخارجي يحاصروننا .. يحاصرون فرحتنا
.. سعادتنا يسحبوها من الداخل الى الخارج بسرعة
كنا نحس بها .. تم اخذ الجميل منا بطريقتهم
الخاصة ...

... نعم بالخارج كاللصوص .. يدرسون المكان ...
يؤمنون بعملياتهم .. لهجتهم التي فعلا .. فعلا .. جد
قاسية .. قاضية على الكل سويا .. سوى .. سوى
بنت السابعة عشر كانت ..

جالسين نمرح ونتبادل الجميل بيننا .. ننتظر
اصبعي الساعة ترن على يوم جديد .. الأشباح ..

الأعداء عبر النوافذ يترقبون ما نترقبه.. يوعدوننا
بالدقات الأخيرة...

.. مع أننا بعدنا عن جو الحزن والخوف.. الا أن
هذا زاد من خوف.. تسلق الجدران.. لا للجري
والنفاد والنجاة..

.. تكمشت السعادة.. نسيمها بدأ يغيب.. الفرحة
صارت بخار.. لا دخان يتعالا من حريق بدأ
يحرق اللحظات الجميلة التي عشناها.. نار بدأت
تشعل بيت محمد ديب طاهر.. من كبريت هو عدو
ظالم.. يرمي كبريته على حطب.. الحطب هو أهل
هذا البيت.. حطب هو نحن.. هي الأجساد..
الأرواح الصغار . الأرواح الكبار.. للذكر
والأنثى..

بدأنا نسمع الخطوات وهي تتسرب.. متجهة إلينا..
رغم الزحمة.. الضجيج والأصوات سمعنا..
نسمع.. لأن الخوف والأمان.. الخطر لم يموتو من
حولنا .. لم يذهبوا.. ظننا بذلك..

... تجمدت الحركة..الأذن كبرت.. طويلة جدا
صارت.. السمع يلحق بالأحذية وهي تسير..أذننا
أعين لحقت بهم ورأت الأرجل الثمانية .. الأرجل
رفعت عاليا .. صوبت بضربة على الباب الذي
منه نهرب .. نحاول أن نحمي أنفسنا..نضع حاجز
يبعدنا ولو بالقليل جدا عن الواقع.. الحقيقة التي نود
لا نراها.. لا نعيشها.. لا نشاهدها.. لا نسمعها.. لا
نحس بها..

... بضربة واحدة.. ضربة قوية..سقط الباب
أرضاً..

... صراخ الباب وأنيبه جعل منا من أسكنته
الحركة.. منا من حركته.. الى ايجاد مخبأ .. مكان
سري عن الأنظار يبعدنا.. فيه ومنه نطلب النجوى
والرحمة.. ننجى وننفذ ..

كبارنا.. وقفنا متحدين صامدين..ملاحنا..الملاح
كلها كست الوجوه شجاعة.. من أين أتت.. الرب

رحيم.. وهب لنا.. أراد لنا.. موت مرحب من
طرفنا..

... الأنفس تواجهه.. واجهت.. دافعت.. فمناحت لها
الشهادة.. بنجاح أخذوها..

.. أحبتي راحو.. أكملو اجازتهم المرضية.. وأنا
حان الأوان... دق الوقت.. يدق لتنتهي اجازتي أنا
كذلك...

... سأنهيها رغم عدم الشفاء..

... الأجسام الصغار.. خلق الأجسام الكبار الصغار
اختبئوا.. استعانوا بنا كمنجد قوي.. سينجدهم.. الى
بر الأمان يضعهم...

حمزة خلف عفاف كان.. ستار الأمان رأني.. بي
غطى نفسه.. لا يدري حمزة أن هذا الستار ما
خلفه سيتهدد.. وشعرة منه لن تترد.. لن تمنع..

... وهو خلفي صرت أحاول جاهدة.. عفاف رفعت
من قامتها.. أزيد في عرضي... يدنيا كانوا جدارين

... الى الموت بنت السابعة عشر تشتهي... أتلذذ..
أطلب وأريد..

.. من كرسية المعتاد منذ سنين الجلوس عليه..
نهظ الشجاع.. محمد ديب طاهر... بجرأة كبيرة..
الطيب .. الذي لا يعرف الاذاء.. الاسائة .. اليهم
وجه الكلام.. ماذا تريدون؟ ألم يكفيكم ما تفعلونه
بالسوري؟ الى متى سيستمر قتلكم الشنيئ...؟.. من
أنتم؟.. ارحلو من هنا في الحين..

... انصرفو حالا .. انصرفو .. لا تنسو.. أنصرفو
أخذين معكم تهديدكم... رعبكم.. أسلحتكم التي لا
نخاف منها...

... انصرفوا.. لسنا نحن الجبناء.. لسنا الضعفاء
الذين تستهدفونهم.. لسنا نحن العبيد... نركعو لكم..
لا تنتظروا... نتوسلوكم بأن ترحمونا..
ترحمونني... لا وألف لا... لا .. ومليون لا..
... أنتم أنذل العباد... أنتم أحقر البشر...

كلهم حملو اسلحتهم.. صوبوا مصدر قوتهم.. نحو
وجهة أبي.. المواجه وجه.. واجه أحد الوحوش..
رد عليه بالسلاح وب... أصمت أيها العجوز
الهرم... صراخك وما تقوله لن يعد بادراجنا نحو
الخارج..

... رؤية عفاف.. رؤيتي للأسلحة الضخمة..
الكبيرة.. فاقت حجمهم.. مصوبة نحو
أبي.. دفعوني.. السلاح دفعني.. الى حمايته
اندفعت... بظهري غطيته..

... عفاف لا تركع لبشر.. لم أركع.. واقفة بقيت..
توسلت.. أتوسل اليهم أن يرمو بأسلحتهم أرضا..

... يدايا يا روعي .. يدايا انضمو.. بشدة الأصابع
تحتضن بعضها البعض.. الكتفين يحاولان
جاهدتان لمس بعضهما..

... حاجبايا.. الحاجبين تركع.. الفم يترجى..
العينين تطلب التوقف الخدود تود التقرب
والتصفيق.. اعطاء تصفيقة قف..

... بعدها.. بعد .. كل واحد منا صار يخاف.. أنا
أخاف على الآخر.. هو يخاف عليا.. سويا على
بعضنا البعض نخاف...

... وقتها لم نتجرأ... الجرأة لم تعد موجودة..
غائبة.. غابت وصرحت بلا عودة.. لم نستطع أن
نسأل .. نكرر ماذا تريدون؟ ..

رأيت.. حلمت.. تخيلت أن الشفقة علينا
جائتهم.. بالأخص بعد توسلنا ..

... كل واحد منهم ... أوقف سلاحه أمامه كالطفل
الواقف أمام أباه... والأب يضع يديه على رأسه..
يقول هذا قرّة عيني... منبع قوتي وسلطاني... ابني
السلاح...

لحظتها أحسّسنا.. ظننا.. الفكر أخذ بنا الى أنهم
سينسحبون.. سيرحلون دون أن يتركوا ورائهم
خسائر.. دون أن يضرونا.. ضحاياهم نكون..
اذكياء.. جعلونا نظن هذا.. استراتيجيتهم هته
اكتشفناها.. فتسلية بنا كانت... ألعاب كنا..

لم تمر دقائق قليلة كانوا قد حملو أسلحتهم ثانية..
بسرعة فائقة استعانو بهم...

... الذي أمام باب غرفة حازم..فتح الباب المترقب
عليه..عليه أطلق الرصاص..قتله.. هو نائم مات..
لم يدع فرصة للجسد أن ينهض ويستيقظ من
نومته.. له يقدم فريضة النهاية ألا وهي
الشهادة..والروح تودع الجسد..

... ممكن موتك يا حازم أفضل من الآخرين..
كونك.. كونه نائم... لم يعيش لحظات رؤية الموت
أمام أعينه..لأنه كان أول شهدائنا.. لم يرى .. لم
يشاهد لذة كبده يموتون أمامه.. عاجزا لم يكن..

...أطفالك يا حازم.. أولاد أخي عندما سمعو
طلقات الرصاص تنزع بجسمك يا حازم..
بالصراخ.. بالبكاء العجيب.. المختلف.. النادر..
المهتز للقلوب.. المسيطر على العيون.. الداعي
للدموع للسيلان سريعا..

.. بادر الأطفال .. بادروا .. أوقفوهم .. لم يسمحوا
لصغارك أن يروك .. لا على البكاء على فراقك
حتى .. منعوهم الضعفاء .. برجل قوتهم .. بسلاحهم
أوقفو التعايش مع الحالة ...

جلسو أولادنا .. يا أخي أولادك خائفين .. أجواء ..
ملامح الطفولة .. دلائلها .. قفزت للخارج ..

... عاشوا أوقات .. لا يزالو صغار عنها .. لا
يتحملوها .. تحملوها غصبا ...

... كم كانوا يشتهون اخراج الأه من خلف اللسان ..
من تحت اللسان .. من الوجع الكبير .. العظيم ..
الذي حل بالروح .. بالنفس .. بالقلب .. بهم صغارنا ..
لم يستطيعوا .. حاصروهم .. الكبت يميتهم ..
أماتهم ...

... زوجتك .. يا أول شهيد بعائلة آل مصطفى .. يا
حازم .. يا أول قتيل .. يا أول ضحية بيلية
احتفال .. سناء .. كصغارها ألزموها .. أجبرت .. على
الصمت قانونهم طبقت ..

... بشاعة قتلهم لك لم توقف البركان داخلها..
انفجر البركان.. الشتم .. البصق.. السب..
الصراخ.. توجيه اللكمات..متفجراتها انحصرت
بهذا..

نهايتها يا حازم كانت أبشع من نهايتك...

... دعت عليهم.. دعت الرب بأن ينتقم
منهم...كسرت أوامرهم..فمها يا حازم الذي كثيرا
.. دائما.. أبدا ينطق سوى بالكلام الرزين ..
الصادق الجميل.. الأنيق.. الراقى.. فمها الذي
كثيرا أخرج دلالات الحب والمحبة..الطيبة
والأخلاق..الأدب..

... حبها لك يا حازم المكنون أنطقها.. حزنها
عليك.. حول الفم.. الى باب منه أخرجت ما بالبيت
الباطني..البيت المؤلم..

... باب فمها لم يسكت عن الحق.. والاطاحة
جاهدة بالظلم..

... ردت على فعلهم بالكلام.. الكلام المتفجر من
الأعماق.. زعزعهم.. زلزلهم.. خافو أن يكتشف
امرهم..

... ألحقو .. مسرعين.. مستعجلين لصب الماء على
النار..

... وضع الظالم مسدسه بفمها.. فمها الذي لم ينغلق
.. وحوش البشرية والأرض دون أي تردد منهم..

... دون محاولة التراجع.. أطلق الرصاصة الأولى
.. لحقتها الثانية مباشرة.. كانت وراء الثانية الثالثة
...

... مع كل دخول رصاصة .. مع خروجها من
الخلف.. كان أحد صغارك يستقبل دماء أمه.. يمنع
سقوط القطرات الحمراء على الأرض...

... حتى الثلاثي البريء .. اليتيم في ظرف أقل من
عشر دقائق.. هذا الثلاثي غسلت وجوههم .. ثيابهم
أغتسلت بدم أمهم الطاهر...

... تكبدت الأهات.. ربط.. انقطع اللسان.. النفس
تصرخ.. الجسد يغلق ثغرات.. الأحفر التي يخرج
منها الصدى...

لا ترميم لهذا الألم.. لهذا الجرح.. الجروح..
المعاناة... و...

... الخوف.. تخويف الوحوش لصغار أهل بيتي
أرقدهم.. ميتين ألما.. صدمة.. جنب جثة حاميتهم..
أهمم التي لا يزال رحيلها مبكرا.. جدا.. جديد.. هم
جد محتاجين إليها..

بكائهم بلا عزف كان.. لا أسمع أنفاسكم.. ان
سمعتها ألحقكم.. بمن أنتم ملتفون حولها هكذا..
السفاح يخوفهم وخوفهم..

لغتك يا مدمر ليلتنا.. يا محرف فرحتنا.. يا طارد
أرواحنا.. لا يستوعبها أولادنا.. كأنهم في قلب
مسرح سينما بها.. فيلمها مرعب.. مخيف..
عاشوه.. شاهدوه.. حضروا لأحداثه أطفالنا..

... شخصيات بالفيلم هم كانوا .. أدوارهم حقيقية..
لا تمثيل.. بلا تدريب سابق.. أو معرفة كانت..
وجدوا أنفسهم بالفيلم..

... بلا رغبة.. غصبا.. بلا ارادة .. فرضا وكرها..
وجدوا أنفسهم في ادوار .. كاتب السيناريو ..
رجال لذة القتل تسليهم .. الحزن.. الألم..
يضحكهم.. الفرحه والسعادة تدفعهم للاجرام.. جرم
بشع والسعي السريع لتوقيفه.. وان كلف هذا رحيل
أرواح .. لا يهم عندهم...

... البهجة منهم تهرب.. يختفي عطرها.. لكن الشم
عندهم قوي.. الضمير الميت يشممهم على بعد
أمتار.. يؤدي بهم جريا الى تغيير البهجة ..وتلويث
جو السعادة..

الجبناء.. هم أغبياء لا يدركون.. تغافلو على أن
الرائحة الكريهة بهم التصقت..العطرة كسبناها
نحن.. بالجنة .. من عطر الشهادة نتعطر..

.. مظلومين.. نحن ظلمنا من بشر.. ظلمونا فأثابنا
الله المراتب العليا من القصر الأخروي..

أولادنا ليسو متعودين على الصوت المرتفع.. على
الحنية .. الحنان تربو.. الهدوء تعودوا.. الكلام
الطيب .. الهادئ الجميل هم يحبون.. منا وجدوا ..
من غيرنا يريدون..

.. سوريتنا بكيت.. صرخت.. مرضت.. حل
بجسدها جرثومات.. فيروسات عديدة.. أمراض
خبيثة اخترقت جسدها.. حولوها من هناء.. الى
تعاسة صارت.. ومن ... الى ..

... أحسو أطفالنا.. لم يحسو بالقدر الكبير .. المناخ
العائلي كان يشعل المصباح بالصباح.. يبعد الجفاف
بالأمطار.. يحول العواطف .. الرياح .. الى نسمة
خفيفة.. رقيقة هادئة..

.. غير الزلازل.. البراكين .. الى حب .. الى
أمان.. حماية.. انفجروا من قلوب تحبهم.. أرواح
تود راحتهم.. عقول سوى تفكر بحاضر .. مستقبل

أمن .. لا يأذيههم .. الى بر الأمان يوصلهم .. على
شط السلام يكونو .. ببحر الاتحاد .. التضامن .. و ..
يستمررون ..

عجرت .. عجرت عفاف عن تحويل مصيبتهم الى
فرج .. حاولت أن أكون رجل النجدة لهم .. بحثت
عن النجدة كثيرا .. لم أعرف لها مكان ..

... عن عالمنا النجدة رحلت .. المساعدة دفنت ..
المساندة احترقت .. ها أنا موجودة .. مفقودة .. ليس
لي أثر ..

يا أبنائي الثلاثة .. والله هم أبنائي .. البطن لم
يحملهم .. لم أنجبهم .. القلب .. الروح .. الحس ..
الشعور أنجبهم ..

... يا نبضة القلب عند انخفاضها .. يا روعي من
الهم تجمدت .. بكم الجليد ذاب .. من حرارتكم ..
من برائتكم .. سائلا صار ..

.. يا عقل فكر دوما في اسعادكم .. عن الدمار
ابعادكم ..

.. لا يزال العقل يفكر.. الشوق شتت العقل.. الى الجنون أدخلني ايه والله...

... أنا مجنونة.. عفاف من أهل .. من فصيلة المجانين..

... ما حصل... ما يحصل.. ما شاهدته.. ما عشته..
ما فقدته.. ما خسرتة.. أفقدني التركيز.. قطع
الخيوط المتصلة بين العقل والواقع.. بين العقل
والحاضر.. سوى خيوط رفيعة تربطني .. تربط
العقل بالماضي.. رغم ضعفها.. ليلة احتفال
حصنت الخيوط..

... بهذه الليلة.. من الآن لن تكون هناك خيوط..
سأقطعهم.. قطع صغيرة أجعلهم.. بمقص هو
الوداع يا روح عفاف ..

لا تزال بعد الأرواح من الأجساد تنسحب..
تتطاير.. من أبواب .. من نوافذ .. من سقف
المنزل.. من طوبه.. اسمنته الهش.. هش جراء

الهزات.. أصوات القنابل.. الرصاص.. الصواريخ
المحلية.. الدولية..

.. من الدمار الذي يقع كل وقت على رأس
الأرض.. بفضائها.. من هذا السقف.. الأرواح من
حولي تودعني.. أي وداع.. أي توديع.. مع
السلامة عفاف.. الى الأبد وداعا..

بنفس توقيت نزول الثلاثي أرضا نائمين.. بالقرب
من جثة أمهم رموا أنفسهم.. مرميين .. متمنين
الموت والرحيل معها.. لا يريدون البقاء بهذا
العالم..

... خائفون من أرضك وسمائك يا سوريا.. لا
يودون الهروب.. لا يودون حتى البقاء.. الموت
يطلبون..

... اشتتت الأرواح السفر بعيدا عن الجسد.. الى
العلا .. في الأفق البعيد.. البعيد تكون.. بحرارة
.. بشوق تشتتهي.. مع أن الانسان يفضل بعد الموت
عنه.. وبعده عنها..

أبناء الشهداء.. بمكانين هم.. عاجزون.. لهذا
عاجزون.. هم محاصرون.. في حيز صالون
البيت مسجونين.. القلب لغرفة والدهم قوة بضعف
يجرهم.. بجوار الأم ألصقهم.. مع هذه الصراعات
الداخلية الباطنية.. والخارجية الظاهرية المعاشة..
أوقعت الأبناء.. الكل مطيعون للسيد
السفاح.. القاتل.. العدو الحقيق..

رد الفعل بداخلي يا أجساد يضرب.. يضرب..
يصرخ.. بالجبناء لقبنا.. بالضعفاء الى الأقوياء
عودوا.. كونوا..

.. كفاكم خوف وذلا.. فماذا حدث.. يحدث؟
سيحدث.. لا يربط اللسان.. لا يكتف الأيدي.. لا
يطرد القوة.. لا يميت فينا الشجاعة..

سهما خطاب الضمير.. نداء العقل وطلب
العقل.. ودفعة الواجب.. دمة الجوارح.. أهات
الروح.. تخبطاتها.. ألام القلب والجروح النازفة..

سمعنا.. للأسف لم نحرك ساكن.. لا يزال الصمت
يملكنا.. ملكنا رغم الكلام الكثير.. الكبير الذي شوش
أعضائنا..

... تظاهرننا بالهدوء .. والفوضى باطنا
امتلكتنا.. سيطرت علينا.. بالكامل استولت ..

.. بعدوى الصم.. البكم تعرضنا.. انتقلت العدوى
بسرعة.. لأهل بيتك يا محمد ديب طاهر بعدوى لم
نأخذها منك .. لم تكن أنت مصدرها..

الى الوراء نحن نتراجع.. نتراجع.. في تراجع
مستمر.. خشنا التقدم.. رغم كل ما فينا أمام العدو
ضعفاء كنا.. لنداءات ما يسكننا قوة أسكتنا..

... خوفنا.. لا خوفا من الموت.. خوفا من فقدان
الروح.. بك يا روح الحياة تكمل رغم اختفاء الحياة
وموتها وهي حية يا سوريا..

الأجسام والقلوب مرهقة.. مزقت شرايين الحياة
لديها.. أموات حقيقيون كنا..

... غاب عنا كل شيء .. كل شيء يدل على أننا
أحياء بعد .. الاحساس بسرير اللاشعور بالواقع ..
بما حوله مستلقي في غرفة الغيبوبة المهيئة للعالم
الثاني ..

... من سيكون طبيبنا .. شافينا .. مخرجنا من النوم
الباعثة بنا أموات حتما الى قبور لن تفتح لنا الباب
لزيارتك .. أيها الوطن الحزين ..

.. من سينجدنا بالدواء ويتحدى الحقيقة .. حقيقة أن
حالتنا ستتحسن ,, ترجع لنا البسمة لا محال ..

.. من يقف في وجه مرضنا ومن حولنا .. يطرده
بذكاء .. بحكمة .. خطط لم تدبر .. فحالتنا مستعجلة
جدا .. لا بد للاسعاف أن يفعل فعلته المستحيلة
والصعبة ..

لكن .. لكن من معنا .. من حالته حالنا .. عدوى هذا
المرض الخبيث الخطير .. قد انتقلت اليه .. الأذهان
تبحث عن مداري .. مداوي ..

.. ظهر طبيب من العائلة خرج أخي مصعب.. من مكان اصدار لحكم الظالم علينا مسرعا راكضا.. مستعين ..بسلاحه الوحيد ورمى أحد المسلحين بدفعة قوية من مسدس كان يديه والرمية..

..الدفعة المؤدية بأحد المسلحين ساقطا أرضا كانت بمثابة رصاص.. لكنه رصاص ضعيف ليس بقاتل .. لا بالفعال..رصاص لا بمستعين .. لا بمساعد يؤدي الغرض يحتاج..

..طبيبنا مصعب يحاول اعادة الكرة.. كان الشقيق الأخ صديق العدو ووحش ليلة احتفال.. وعاشق القتل المتلذذ .. الهاوي لخروج الرصاص من سلاحه الذي هو قوته.. شجاعته..

.. معشوقة القاتل.. محبوبة العدو.. سلاحه من يداعبه.. اطلق رصاصه صوت فانزرت في ظهر أخي .. دخلت في الجدار الذي أراد أن يحمينا .. ضحى بطوبه.. ما لديه ليفعل فعلته..يخلصنا .. يطفئ النار الغاضبة التي كانت أن تنطفي .. تصبح

رماد لا عنده .. لا عندنا .. لا عندك يا روح عفاف
الى الآن ..

كبيرنا المسن .. أبي الغالي هرب .. كيف تحول الى
جسم شفاف به تسلل من بين المصدين لنا ..

الأب المعجب لأبناءه .. لم يقوى على رؤية ..
مشاهدة خاتمة أولاده .. الواحد تلو الآخر
ببشاعة .. فقلب الأب لا يتحمل .. ليس بحوزته أن
يقف .. ينتظر دور البقية ..

.. عفاف يا مصعب .. وهي ترى فيك البسمة
الأخيرة .. والروح تهاجر .. هاجرت من بسمتك ..
البسمة المبشرة لك بغد أفضل .. كفت منها أخذ
الأمل والأمنية المستحيلة ..

.. ومنها أبي قدميه أمرته بالسير .. بالجري
خارجا .. هاربا .. باحثا عن ما جلبه .. أم ستجلبه
ابتسامتك يا مصعب .. يا أخي .. يا الذي اشتقت لك
لدرجة الموت .. حتى الجنون ..

..شفتاك يا مصعب اللذان حولان شكلهما من دائرة
.. الى خطين عريضين..أشرقاً الوجه كله.. وأضاء
نور به على يومك الموالي التالي الجميل.

بسمه مصعب أخذتنا للحظات الى أشياء تمنيناها
في ليلة احتفال..

... أبي الهارب الى صالون بيته الممتلئ بالدماء ..
الجثث المظلومة البريئة ذنبها سورية..

..سرعة القتلة كانت تخطف منا الأنظار .. ترمي
بالبصر الى المشهد الأخير.. الى مشاهد مغايرة
تسقط القلب أرضاً..

.. يا روعي الساكنة بعد بي لن أنسى .. كيف لي
أن أنسى؟ ..

..كيف لي أن أعيش بسلام وهدوء .. الوطن
بحرب ..العقل به مجزرة 1 / 03 / 2015 به..

.. عصير أحمر غطى أرض وحتى جدران..
أسقف حيزنا .. بيتنا ..بليلة من ليالي عمري بزمان

بمكان .. بوقت ما كان أن يسمح لي باقامة احتفال
.. لو لا تحدينا .. واصرار .. رغبة عائلة محمد ديب
من تغيير الوضع المعاش .. ولو لدقائق وساعات
قليلة جدا..

كيف أكمل والروح رافضة البقاء .. والقلب عاشق
الرحيل؟..

... كيف ووحوش ليلتي أخذوا مني الغوالي
والأحباب..؟ كل شيء في وقت واحد دون ارادة
الاهية.. ارادتهم.. قتلت ارادتي وتمسكي بالحياة..
.. ذبح الغالي أمام أعين طالبة البقاء .. أمام قلوب
ذابت .. احترقت ولا تقوى على تلقي الأكثر..

..ذبحوك يا سند عفاف..أبقوا الرأس متصل بالجسد
الذي تعذب .. وعانا في لحظات تحوله الى
جثة..وجسده لا يؤويه الا القبر..

...نظراتك الحمراء يا أبي المضغوة.. الحاملة ..
المتحملة لألم فاق كل ألم.. والرأس يتجراً طلباً
مهلاً رويداً رويداً عن الجسد..

.. قتلوك .. يظنوك .. ظنوك كبش .. حتى لو ذبح
الكبش ما ذبحوه .. مثل ذبحك البشع ..

...وقفت .. سقطت عفاف سوى تنتظر .. تتأمل
لجسدك .. روحك .. يا والدي الذي كان سلعة ولعبة
يمارسون عليها اللعب الذي يهوونه ويريدونه ..

سمعت صراخك .. صرخة كل عضو فيك الذي
كنت تخفيه عني .. أنت في أشد الحاجة لتطلع ألمك ..
عذابك الغير عادي في حرفين من حرف الأه ..
الهاء اللذان بهما توصل ما تعانيه .. يسمعك حتى
الجماد ..

.. تألمت لألمك .. بكيت لعذابك .. تحطمت
لفراقك .. مت موتات لموتك ..

... بيتك يا محمد ديب طاهر تألم .. بكى وتحطم ..
مات لأجلك .. كل شيء يخصك ذهب معك سوى
عفاف ..

.. عوقبت بالموت البطيء .. رغم أنني بريئة لم
أفعل شيء .. لم يصدر مني أي خطأ.. ليست
بالمجرمة ..

... هل هذا هو جزاء الطيب..المظلوم.. البريء في
أرضك يا سوريتنا؟..

أردت الحياة فيك يا وطني ؟ .. أردت العيش وعدم
الرحيل؟ .. أردت وضع الأحلام.. الأمنيات على
أرضك ؟ .. بك يا سوريا..

رغبت أن أكون من البشر الذين تفتخرين
بهم.. ويشهد تاريخك عليهم؟...

... طلبت أن تبقوني أنا وأحبتي عن ما يحدث فيك
بعيدين؟ .. انسحبها من عالم الدمار والقتل
والحرب .. لأن لسنا منه .. ولن نستطيع أن نكون
منه.. نمتلك قلوب رحيمة.. وضعت باختبار صعب
لا يقوى على صعوبته أحد على وجه الأرض..

.. فيلم ليلة احتفالي من الخيال .. لحد الآن لم
أتوصل الى استعابه.. تصديق أن أحداثه . مشاهده

كانت حقيقية.. كلها واقع حدث امام أعيني.. واقع
يجعلني في صراع مع العقل الذي يحاول اقناعي
أن الذي حدث فعلا حدث.. بين ذاتي الراضة
للسماع.. هو شخصيات الفيلم ..

... أين هي بعد الفيلم؟ ... صحيح ها بعد نهايته
أشرار الفيلم رحلوا.. عادي رحلو.. لا احد
عاقبهم.. لا واحد يعاقبهم .. كأن الذي فعلوه سوى
تمثيل وفقط..

... صحيح الذين ماتو في الفيلم هم غير موجودون
.. بعيدون عن الواقع.. ميتين حقيقة..

... أنا الآن.. الحين عفاف تروي قصتها.. فيلم ليلة
احتفالها لتكون واقع.. يشهد الواقع أنني ميتة.. مع
الواقع الوقت.. معهم الحياة والزمن.. يرفضون
منحها شهادة وفاء .. منعوني.. رفضوا لي ..

بداخلي حرب.. بداخل عفاف .. حرب لو وزنت..
لو قيست .. لكنت أكبر الحروب حجما.. عظما من

الحروب التي شهدتها العالم.. وأقيمت منذ ظهور
الانسان..

... بداخلي حرب لا تظهرني أمامها يا حرب
سوريتنا...

... لا يغيب ... لا يرحل عن نظري.. عن بصري
نظراتك الأخيرة.. يا أبي وأنت تودعني .. تود
توصيتي .. أنت تسعى جاهدا لطلب السماح مني
لأنك كنت أبا لم يحمي أولاده.. ولم يبعد عنهم
الأذى والضرر..

وأنا يا أب عفاف... أشهدي يا روعي.. يا جدران
سوريا المهدمة.. ويا جدران وأسقف بيتنا المدمر
.. اشهدوا أن محمد ديب طاهر أعظم الأباء على
وجه سوريا.. الأرض.. أبي أحن الأباء واطيبهم..
والدي ذا رجولة .. صاحب صفات الجنس اللطيف
من حنية.. حب.. عطف...

... أبي رئيس مملكتنا الصغيرة.. قادها بحرفية..
بذكاء.. بفكر .. بعقل رزين.. قائد هؤلاء حب كبير

لنا.. أنجب زينة شباب سوريا.. عروسة قرصايا
المنقرضة لمثيلها..

... وبيتنا لا يشبه كل البيوت.. لما يحتويه البيت
من أشخاص تسكن قلبه.. لن تتكرر بأي عصر
.. زمان .. ولا مكان..

لكن الحمد لله جزائها أكبر.. أعظم.. مشرف.. هم
يوقفونك بوسط بيتك.. أهل بيتك.. أحبتك.. بسكين
حاد جدا .. بالمتوسط الحجم خدعوك.. فصلو رقبتك
عن رأسك.. عن جسمك..

..لم يكفيهم هذا.. أكملو عليم بالرصاص.. القاتل..
القتلة.. كانوا خائفين أن تكون لك كذا روحا.. بخوف
..بعجلة.. بسرعة طهو روحك.. جسدك
بالرصاص..

..وأنا.. زوجتك بالصراخ.. الأعين مغمضة..
الأيد بالأذن بشدة.. كنا نودعك.. نرجو بقائك.. نرد
على العدو لفعلاته..

.. ابنك الصغير في صدمة كلية.. دخل.. وأنا
بالخائفة.. المجنونة عليه كنت..

... أموت كنت.. لم تلحق أُمي المسكينة بالحزن
عليك.. لم تطبق العدة بعد أن كسبت لقب
أرملة.. أرملة الشهيد..

... بثواني جاء دور حبيبتي أُمي.. شهيدة مع زوجها
لحقت.. مع السابقين الذين سبقوهم.. شهيدة مثلهم
توجت..

بصرخات الحزن.. بكلمات الغضب.. تزعزع قلب
عفاف..

... آخر غصن بشجرة عائلتها.. لم تخف من
نظراتهم الوحشية.. المخيفة التي تسقط الأسد
الأرض.. الطائر من السماء..

.. لم يتزعزع قلبها.. لا خوفا.. لا ضعفا.. منهم..
واجهتهم.. فواجهوها.. مواجهتهم الرد
المعروف.. المعتاد عندهم..

... أطلقو الرصاص عليها.. حالها كحال الأحبة
التي سبقوها..

.. هي تحتضر .. مدت يدها الي طالبة حضنا
مني..من أخي الصغير.. أخي بزاوية لا يستوعب
ما الذي يحدث..

.. أنا رغبت للاستجابة لطلبها.. رغبتني لازلت
أرغب بها لحد الآن يا روح عفاف.. أنتي أيتها
الروح تعلمين جيدا.. ان نكرت .. ان نسيت
أنا.. أنت محال تنكري..الروح لا تنسى رغباتي..
رغباتها.. الشديدة.. التي عشت .. عشتني عليها..
بسببها سأحدد.. تحددين أرض مصيري.. بيدي..
بيدك.. لا بيد أحد..

قطعت لهفتي .. وقفت رغبتني عن حضنك .. ضمك
يا أجمل النساء.. وأمهات العالم للمرة الأخيرة..
فحسبها الله ونعم الوكيل على الذي أودى بنا الى كل
هذا..

.. قتلوكي .. سرقوكي مني .. حرموني من حلاوة
الحياة .. من طعمها الحقيقي .. لم يكتفوا .. نزعوا من
أذنك العفيفة حلقكي .. الحلقين اللذين أهديتهم لي ..
طلبت منك أن تبقيهم بأذنك الجميلة .. السامعة ..
المغسولة لكتابك الطاهر يا الله ..

.. كنت اغار منها .. أقول .. ما أحلى الحلق عليك ..
زادك جمالا فوق الجمال .. ترد .. لا تستعجلي ..
فحقيقة أنا الأم مستعجلة لأراهم عليكي بيوم
زفافك ..

.. أخذوا .. سرقو هدية الأم لابنتها الوحيدة
مستقبلا .. من سرقتهم أخذوا احلى وأجمل
الأحلام .. الأيام .. الأمنيات ...

... سرقوهم .. الذهب .. الأرواح .. الحياة .. و .. منا
ليبيعوهم .. ليشبعو رغباتهم .. لذاتهم .. وتلبية ما
يساعد على تدميرنا .. وتدمير منازلنا .. أرضنا ..
أراضينا ..

.. بممتلكاتنا شردنا.. دمرنا.. تغربنا..
طردنا.. تغبرنا.. اغتصبنا.. متنا وجعا وفقرا.. حزنا
وألما.. حقيقة متنا.. بكل الأوقات تذوقنا.. تغدينا..

.. أبي يا روح عفاف.. أنت قدوتي.. لا تزال ..
لازلت مصدر قوة لي..

... لا تزال .. أنا واجهت المحيط الخارجي.. ها أنا
أواجه الموت.. بشجاعة .. بقناعة أستدعيه.. أواجه
..

... اطمئن.. أنت في ديار الجنة.. بالجنة أنت يا
أبي..

... كما ربيتني لازلت .. كما حافظت عليا لازلت..

... بنفس المبادئ.. الأخلاق .. القيم.. مازلت..

... علمتني حب الحياة.. أن أكون من الجاهدين فيها
تعلمت .. منك تعلمت..

.. من المهمين في الحياة عملت.. ايه والله يا أبي
حاولت.. لكن المصنع الذي يزودني لأكون بهذه

الحياة.. كان.. هو فقد مواده الأساسية.. لم يكن
هناك انتاج.. لم يكن كما انتظرتة..

...حفزتني لايجاده وخلقه.. أنت لن تحب فيا ما أنا
فيه..

... أعلم لست راض بحالتي.. ان رأيتني ستلومني
أكثر من أن تعطيني الحق..

... لكن يا أبي .. أنت رحلت عن سمائي.. عن
أرضي.. ووحيدة صرت..

... لم أجد بعدك يا أبي.. لا بنفس نصائحك..
تضحياتك.. جهدك معي.. اذنبت في حق نفسي..
عفاف مذنبه بعد رحيلك .. رحيلكم..

.. عفاف فضلت.. أنا فضلت بناء عالم خاص
بي.. لكن.. لكن.. عالمي سوريا لم يتركني
بحالي.. الوضع لم يساعدني على النهوض.. من
الاستيقاظ من الذي أنا فيه.. بالعكس حفزني..
جعلني أسارع للرحيل.. لأكون معكم بأي طريقة..
الأهم عدم تقبلي لما حدث لكم..

... الألم لا يزال باق.. باق.. باق هو.. هو باق ..

... الحزن بأعماقي.. لا يزال .. لا يزال.. هو لا
يزال.. لا يزال هو جالسا .. جالسا .. جالسا هو ..
ها هو جالسا..

مشتاقة جدا عفاف.. أنا جد مشتاقة
للأحبة.. للأموات..

... البصر ملهوف لرأيهم.. ملهوف الصدر ..
القلب لضمهم.. الروح لوجوكم.. الاحساس بهم..
.. العقل مشتاق لينام بهدوء.. خداع العين والجسد
بالاسترخاء .. للاستعداد للنوم.. بعدها في أسوأ
الليالي يعيشهم.. من كثر التفكير.. صعوبة
الاستعاب والتصديق..

بداخلي انتقام.. نار .. لهفة شديدة الى حمل
السكين.. البندقية .. أقتل الذين قتلوكم.. بمئات
الطعنات أطعنهم.. بالرصاص أثقب جسدكم..

.. بالرصاص .. بالسكين .. بالانتقام أطلق حزني ..
ألمي .. أحرر انتقامي .. أطلق ناري ..

... جد حزينة .. باكية دوما على سقوط شموخك ..
عزتك .. كرامتك .. بسقوط .. ميول رأسك على
الكتف الأيمن .. الأيسر بعد ذبحه .. دون فصله ..

... شاهقة أنا على تغير لون وجهك .. رقبتك ..
الدالة على كثرة الطيبة .. طهارة القلب .. نقاء
الروح .. الى احمرار .. وأي احمرار .. أحمر داكن ..
انتزع .. سلب من ينايع جسدك ..

بريء .. روح رحلت وهي رافضة .. غضبت
الروح .. اغتصبت ..

... صوب عيني تخبطات روحك يا أبي .. ترجمها
الجسد ..

دمائك تتطاير .. تطاير الدم الطاهر .. أفرح عفاف ..
عند هته النقطة بفرحة أبي الشهيد .. والدي شهيد ..

أأأأه يا أبي.. أه يا أطيب البشر .. على خاتمتك
البشعة...

.. برصاصتهم الظالمة.. نرف القلب.. قلبك.. به
صنعو حفرة .. منها دخل الهواء الملوث ..
المعكر.. توقف القلب عن العطاء.. عن الحس.. عن
الاحساس..

.. برصاصتهم أماتو القلب.. القلب الذي يعرف
سوى الحب.. عمل سوى الحب.. عاش .. دق
سوى للحب..

... برصاصتهم التنتة اوقفو الخفقان بالبطن..
البطن الذي حملنا.. سوى الحلال اكل.. البطن الذي
بات ليالي بدون أكل.. جيعان لا طعامنا.. البطن
الذي تألم لتألمنا.. خاف حوفا علينا.. ولخوفنا..

... برصاصتهم نقشوا على الجبين دائرة صغيرة..
من تلك الدائرة توقف العقل عن العمل.. العقل
الذي فكر فينا.. في اسعادنا.. في نجاحنا.. في
الحفاظ علينا ... العقل الذي لا يحمل سوى

الصالح.. النفع لنا للكل... العقل الرزين.. الذكي
الذي مبكرا جدا رحل عن عالم يحتاج اليه..
يحتاجه لخدمة الأبناء.. الأجيال .. الوطن.. و...
و...

... العقل الذي منه تعلمت.. تعلمنا ..كبرنا..
كبرت.. استفتدت .. استفدنا.. ومن أعقل العقول
كنا.. اشتهرنا.. لقبنا.. حمدا لله..

... شكرا لكي يا امي.. رحمك الله يا شهيدة
سوريا...

أغار على أمي كثيرا... من نظرات الناس أغار..
من لمسات النساء لها أغار حتى... أكبر غيرة
عليها.. وأحد الوحوش يضع يديه على اصبعها بعد
زيارته لأذنها.. وضع اليد لسحب الخاتم .. خاتم
زواجها من يدها.. بعد سرقة روحها لم يكتفوا.. بعد
سرقة عمرها لم يشبعوا.. بعد سرقة حياتها لم
يقتنعوا.. بعد سرقة زوجها وأولادها لم
يتوقفوا.. حلقاتها بحوزتهم أصبحت..

... الظلم عندهم لم يهدأ غليانه...

... بقبضة يده الملوثة بدماء البشر الأبرياء..
المغطوسة بوحل.. برمال .. بقمامة الظلم والقتل..
حضن العدو الخاتم بفرحة انتصار.. بفرحة كسب..
...وبجيب ثيابه التي لا تعرف انتمائه الى أي جهة
ينتمي...لتصرفه عفاف بصقت.. في وجهه.. وسط
الوجه بصقت ببصقة برميل.. من بعيد.. طلبت منه
أن لا يلمسها...فهي أُمي..مصدر فخر لي.. منبع
غيرة مني عليها...

... لكن الجبان أظهر عضلاته.. قوته..بضربه لي
برجله على بطني..أرقدني المستحقر أرضاً..أتألم
فوق ألم .. ألأم...

... لم كان أبي حاضراً.. حياً.. لحظتها .. أثنائها..
لما سمح لهم أن يأخذو خاتم زواجهم..الخاتم الذي
قدمه لأُمي.. لزوجته الحبيبة.. لأم أولاده.. ورفيقة
أهاته وسعاداته..

... لكن... لو بقيت الروح تنبض.. موجودة.. ساكنة
بعد بالجسد.. بجسده .. لما تركوه يقاوم.. يتصدى
.. كحالي وحالنا.. كان لحقها لا محال.. ها قد
سبقها..

لهذا يا روح عفاف.. الذي حصل لعفاف.. الذي
يحصل بها أكبر منها.. بكثير أعظم.. لا يحمل.. لا
قلبا في مكانه ويؤدي وظيفته.. لا عقلا يشغل
كباقي العقول.. لا بصر.. لا رؤية تجمع
الحوادث.. ترتبها.. ترى المحيط.. يصدقها..
الروح تنهياً للانسحاب.. ستنسحب...

بكيته.. بكت عفاف.. العين دمعت.. عن حال فتانا
الصغير.. خفت مما هو فيه.. مما أراه فيه..
صرت لا أختلف عنه كثيرا والله يعلم...

آخر غصن بشجرتنا... بشجرة محمد ديب طاهر
شفق عليه الأشرار.. وأي شفقة.. شفقة لم تشبع
لذة القتل عندهم... شفقة تجرهم للبحث عن فريسة
أخرى.. منها تشبع لذات...

... بدأ احدهم يتقدم.. شيئاً فشيئاً يتقدم.. ناحية فتانا

الأصغر.. يتوجه.. اليه يسير .. وأخي الصغير
يصارع الجدار .. يفتحمه مع كل خطوة يخطوها
وحش ليلتنا.. والجدار لا يستجيب.. الجدار يثبت
بقعته.. يتصدى لمحاولات الصغير لخرقه...

.. الصغير خائف .. الدموع بلا شهقة تتهاطل..
الارتجاف كان يهتز به فوقاً الى أسفل..

... وأنا من بعيد.. أصرخ.. ب لا.. ب لا...
أرجوكم لا.. أتركوه فهو لا ذنب له.. ما الذنب أيها
الأشرار.. أتركوا لي ونيس.. أنسوه.. أقتلوني أنا..
فها عفاف أمامكم..

... لم أكمل ما أريد أن أقوله .. قفلو فمي.. جاء
احدهم خلفي.. شد فمي بقوة.. بقوة كبيرة.. منها
ارجعت صرخاتي .. أهاتي.. الى الداخل.. الداخل
الذي توسلني بان أرأف به..

... بقيت سوى العيون.. العيون تحاول النطق.. لا
تنطق العيون..

... الشر الواقف .. المتواجد عند محيط أخي
الغالي .. بأسنانه .. ابتسامته .. كان يخيفه .. هو خاف
كثيرا .. له يقول .. فمك افتحه .. افتح فمك .. لتناول
ما ينهي حياتك .. افتح .. افتح .. هيا افتح ..

... أخي الصغير .. الأخ الذي لم يمنح له حق
الحياة .. ولا الدفاع عن حياته ..

... أهدى صغيرنا فمه لعدونا .. لا خيار له .. هو
مجبور كان .. مشتاق للرحيل مثلي .. للحاق بمن
تركوه ...

... حتى عفاف لم يكن يراها .. الذي يحدث بالاكبر
منه .. يعلوه .. لم تكن له لحظتها حياة نادته ... حياة
يريدها ليدافع عنها .. ليتمسك بها .. ليهرب اليها ..
سئم منك يا حياة .. سئمت منك .. سئمنا منك ..

... الموت كان يحيطه .. من كل الزوايا أحاط
به .. يناديه .. ناداه .. هو لم يتردد .. بسرعة استجاب
له .. خدعوه .. أخي انخدع .. انخدعنا ..

... بثلاث طلقات فجرو فمه.. انفجر
الرأس.. صوت الطلقة أخفى صرخته.. أه الروح
المنسحبة كالبرق سكنت...

متوسلا كان أخي.. طالبا النجدة ... بعينيه
البريئتين.. يديه المسالمة .. منهم يطلب من الحلم
أن ينقضه.. من الأهل أن يمنح له عمرا جديدا..
من الغد أن يحضر في الحين... يحل.. يغير ما
يجب تغييره.. من سوريا وجعائبيكي .. وهو يقول
وصيته لها .. " بان تحمي عفاف.. بأن تكافح ليحل
نور السلام من جديد.. "

... فالذي بك يا وطني لا يقوى عليه... بأرضك يا
سوريتنا سقيناك.. بدم الشهداء .. الأبرياء
ارتويتني.. من دمهم امنحي لنا الأمان .. فيكفينا..
بقطرات روحهم المضحية .. لم ينبت .. لم ينمو
اخضرار.. نود بياض به ننعم بجنة حقيقية على
الأرض.. عليك .. فيك .. بك .. يا سوريا...

... شفتاه تحتضر وهي رسالة لي بعثت.. أحرف
الوداع .. عبارات الحب..جمل التوصية بان أحافظ
على نفسي.. "اعتني بنفسك يا عفاف".. بالله عليك
اعتني بنفسك"..اياكي وأن تحزني..

... العين التي بدأ يغادر منها البصر.. كانت
تعانقني بشدة.. بشدة عانقتني.. عانقتها من
بعيد..تطلب مني الى العلا أصدق.. بأمل..
بالتحدي.. بالاصرار...

... من عينه اللتان أعشقهما.. كان حبيبي.. أخي..
صغيري .. يدعوا لي المولى عز وجل بأن .. بأن
يبقي بي الروح.. بأن يقويني وأكمل مسيرتهم..
أحقق أمالهم ..أمالى.. أجسد أحلامهم .. أكبر
حلمي.. أقاتل بعزيمتهم.. أقوى من عزيمتي ..
أحيي اصرارهم في عفاف...

رحل.. غادرت برائتك عن سمائي.. من بعدك.. من
لحظتها.. مغادرتك تكويني.. تحرقني.. العجب أني

في تلك النار أستمع... استمتع فقدان الوعي..
موت الاحساس..

... صرت لا أشتهي البعد.. الغياب عن هته النار
.. نار الفراق..

مطمئنة أنا.. مرتاحة عفاف.. هنيئة البال.. فأنت يا
أخي بأمان.. لأمانك.. أنا لا أدري.. لا أدرك ما
يحدث بهذا الزمان.. بهذه الدنيا..

سوريتنا تحترق.. احترقت.. وأنا بليلة احترقت..

... سوريتنا قامت بها القيامة.. كما بيتنا بليلة حلت
به القيامة.. واي قيامة.. قيامة من من بشر
أقيمت.. وضعت.. دبرت.. طبقت ونفذت.. والنتيجة
منها السوري كان..

الله رحيم.. رحيمنا الله.. والعبد.. الوطن.. الخائن..
و.. لا رحمة عندهم..

طريح الأرض كنت.. واقفة عفاف تحزن.. من
قتلوكم.. من دمرونا.. يهيئون أصدقاء المنزل

..لوازمه للرحيل.. " الثلاجة ..الغسالة...ال...من
مكانهم أخرجوهم ..زينة نساننا أخذوا..

...هل من أجل ثلاجة قتلنا..؟..من اجل غسالة
أبعدوكم عني.. من اجل زينة ظلمونا.. منا الأرواح
هم سحبوا..

...غاضبة أنا.. جد غاضبة عفاف.. الى حد الآن
غاضبة يا روح عفاف..

من اعطاهم الحق بأن يفعلوا بنا كل هذا.. يفعلوا ما
يحلوا لهم..

... من أين أتوا بهذا الحق.. من سمح لهم.. من
أعطاهم لهم.. الاذن من أين أطلق..من..؟ أريد ان
أعرف .. اود أن أفهم..

الأسئلة تفجرني.. الفضول سيفجرني.. هاهي تعلن
نهايتي..

جهزوا المسروقات..هم سعيديون بما
استولوا..فعلا.. أهنيكم..أنتم أنتصرتم..غلبونا...

... غلبونا فيا ليت فقط تعود ليلة الاحتفال.. بدقائقها
الأولى تعود.. لكن رحلنا قبل وصولكم يا
دقائق.. تركنا الذي تريدونه..

... كنتم يا أشرار من الأول قولوا ما جئتم من أجله..
ماذا تريدون.. هذه وهذا.. كذا وكذا..

ليت نطقتم.. ما نطقتم.. تريدون السيارة البسيطة
المركونة بالخارج.. أمام باب منزلكم تكون.. هذا ما
تريدون.. فلما لم تصارحونا..؟

... كنا جهزنا.. الى حيث تكونون نأتي بهم.. دون أن
تجيئوا.. مجيئكم غير القدر.. أقدار.. نصيب.. أنهى
حياة أناس أبرياء.. حطم امال.. أحرق أحلام...

تعالو .. الى أين أنتم ذاهبون.. تعالو .. عودوا
أكملوا ما تبقى.. عفاف بقيت حية ميتة.. اكملوا
لذتكم.. اسحبوا منها الحياة..

... لا أحد سمعني.. لم يردوا.. فضلوا عدم سماعي..

... وأنا أترجاهم تذكرت.. ما تبقى منا تذكرت..
أخي الرابع .. أخي سامر خارج البيت كان.. أين
كان؟ ..باحثا عما يلبي جوعنا..

... تذكرته.. بداخلي حمدت الله..بسرعة غير الكلام
عندي طريقه..مقصده..بطردهم تارة ..بالصمت
تارات..

.. كنت ادعي وأدعي.. دموعي تدعي.. رجفتي
تدعي.. خوفي يدعي..بأن يرحلو بسرعة ..لا يقع
بقبضتهم أحد الغالين عندي ..فيزداد ألمي.. غير
أن.. الا أن.. لا أعرف من الذي يعكسني.. عكسني
في الموضوع..

خرجوا .. لم يغيبو عن عالم ومحيط حيناً..
قرصايا ..

... وهم بالخارج.. كان سامر قد لقي حذفه بلمح
البصر..حتى أنا لم ألمحه..

... وأنا غارقة في الدعاء .. سمعت اطلاق
نار..توقعت الضحية.. نظرت فتأكدت..أدخلوه الى

الداخل .. جثة في برميل دماء.. وعلى.. عليا يا
أحباب.. يا روعي أنت شاهدة أقفلو الباب..

.. هبو بالرحيل.. رحلوا.. غادرو وكأن شيئاً لم
يكن.. لم يحدث.. بلا عقاب .. بكل بساطة ذهبوا..

سعدت لرحيلهم.. حزنت لبقائي وحدي مع كل
هؤلاء الشهداء.. مع أهل بيتي وهم لا يوعون
بالحياة..

في جلسة مغلقة... لوحدنا تركونا.. سعدت لرحيلهم
.. لبقائي مع الذين لا نصيب لي أن أبقى
معهم.. أراهم للمرة الأخيرة...

كنت أتقدم نحوكم.. نحوهم مرات.. أتراجع
عشرات المرات..

... ليس لي الا أن أتقدم.. الا أن بحيرة الدماء كانت
تسد الطريق نحوي.. تمر قدمي على تلك
البحيرة.. القدم لا يأبى.. البحيرة لا تسمح بذلك...

رفضت رجلي.. منعت.. تقطع قلبي .. أعلن عقلي
مهلا عفاف.. اياكي أن تنتهوري..

... الدم مقدس .. لا للقدم أن تلوث طهارته برمال
.. بحذاء مشى فوقه .. خطوات الأشرار الظالمين
تخطته..

العقل ساعدني.. الى المطبخ جرنني.. أمرني بحمل
كوب.. قارورة.. أكواب .. قارورات بيدي.. الى
ناحية البحيرة الحمراء أجلس.. بالقرب أجلس..
أتربع.. أبدأ في.. أمد يدايا لحمل ما استطاعت من
الدم.. بقلب الذي جلبته .. معا .. قارورة .. كوب..
كأس.. أخلص الدم من الأرض الذي وقف به
سفاحون الدماء.. طاردون الأرواح أبديا..

.. أجمع الطهر من أرض بيتك يا أبي.. يا أمي .. يا
أخوتي..

... بيدي .. بقلبي .. بجوارحي.. جمعت.. أجمع..
... أجمع ألم القطرات النقية.. العذبة والصفية..

... أسكبهم في القارورة تارة.. في الاناء تارة
أخرى.. شيئاً فشيئاً بقي سوى طلاء أحمر ينتظر
الماء المقطوع .. الغير موجود ليزيحه.. ينتظر
الرحيل وأمنية آخر سيلان به بأي مكان .. بأي
بيت.. من أي جسد سوري .. عربي يتوقف..
... الدم مثلنا يهوى نهايته.. نهاية ما بدأ بك يا
سوريا..

.. نهاية الذي ينهينا وأنهانا...
.. الابن يريد العيش.. الرضيع يريد الأرض الأمانة
.. الحاضنة ..

قارورات.. أكواب بحوزتي صاروا.. أحمل
أحدهما.. أضعها.. أحمل الأخرى عاليا.. أنا أردد
أنا.. أنا أقول.. عفاف بدماء تدمع منها.. عصير
أحمر بليلة احتفال.. هنيئاً لكم.. شكراً لكم .. شكراً
لمن حضر حفلتي بلا دعوة.. يا أسفا عليا..

...اشتبهت بتلك الأثناء .. وقتها أن أرتوي ..
يسكب ما جمع من دماء .. بشرب العصير المهدى
لنا بعيدى ..

بليلة احتفال فعلتها .. حرام أم حلال فأنا
فعلتها .. فعلتها .. مسموح أم ممنوع .. عفاف فعلتها ...

... نعم فعلتها .. حزني فعلها .. ألمي فعلها .. موتي
البطيء فعلها .. صدمتي فعلتها .. يأسى فعلها .. الكل
دفعني ففعلتها ...

كل الذي كنت فيه .. أمر به فعلها .. لست أنا .. الذي
بها فعلها ...

هل تضنون أنني أعني من أنا ؟ ما الذي أريده ؟ ..
ما الذي أنا فيه .. ؟ وأين أنا ؟ ... وإلى أين ذاهبة ؟
...

لا والله لا أعني .. عفاف غائبة وعيا .. احساسا ..
شعورا .. و... أنا ..

أين أنا ..؟ .. ما فعلته؟ .. ما أفعله ..؟ ما الذي
سأفعله ..؟ .. لا أدرك ..

شربت ما استطعت شربه من العصير الأحمر ..

... الى أحشائي .. العصير تسرب وسقاني ..

.. رويت .. شبع .. فاعتزلت الشرب ...

... أأأه كم ارتحت .. دمي مع دمكم يمتزجان ..

امتزجا .. معا يعيشان ..

... دم الشهيد يوعدني بالشهادة ..

أريد .. أشتهي .. أرغب في مثل نهايتكم .. نهايتي

نهايتكم .. توأم حقيقي يكونان ..

أحب أنا العصير الخفيف .. العصير الأحمر ..

عصير ثقيل .. مكبد .. وكأنه مجمد كان ..

... أغمضت عيناى .. شربته .. حبست الأنفاس

للحظات وشربته .. وأنا أشربه ..

... كررت ما فعلت .. كررت وأنا أريد التكرار ..

القارورات .. الأكواب المتبقية بعد .. براميل
مملوءة تشبه كانت .. وتمتلأ كلما نقص منها كنت
أراهن .. راهنت ..

كم .. كم صعب .. كم صعب الذي مررت به ..
اضطرت عليه .. الرغبة أوصلتني اليه .. الصدمة
أوقعتني فيه .. كم صعب .. صعب للغاية كان .. جد
صعب ..

انتهيت من الشرب .. خبئت الباقي كلما عطشت
شوقا .. حبا .. لوجودكم .. لقربكم .. كلما عطشت
الذكريات وتريد المزيد لجأت .. ألجأ الى العصير
الأحمر .. كأنني أتصبر بلجوئي .. أشبع الجائع
الذي يصرخ بداخلي ..

.. تركت العصير الأحمر لأوقاته القادمة .. عدت
اليكم لاستغلال ما تبقى من الوقت .. لا وقت هناك ..
لا لحظات .. لا ثواني فيه حتى ..

أقف .. أجلس .. وأنا كلي أتأمل اليكم ..

أودع.. ودعتكم بجميع الطرق والأنواع.. المعروفة
.. الغير معروفة..

.. أجمع.. جمعت المتقطع منكم... على شكل جثة
لشخص كامل.. أرجعتكم.. كالدمى .. الدمية..
اللعبة التي كل قطعة لوحدها.. ركبتم..

...أثار دمائكم ..دمائكم عندي موجودة.. لا تزال...
من كل واحد منهم... من كل شهيد.. من أهلي شيئاً
أخذت..

...فضلت بقاء الشيء .. الاحتفاظ بالشيء الذي
فيه.. به الأحمر..

... والله شمس مشعة.. نور لا مثلها... لا بعدها
نور.. كانت تكسو الوجوه..

.. أقسم أن... ابتسامتهم كانت تودعني..
تطمئنني.. ارتاحي عفاف.. رجاء.. لو
سمحتي.. فكري في نفسك.. سوى في نفسك

وفقط.. فينا لا تفكري.. لا تهتمي.. لا تشغلي البال..
وتتعبى العقل.. وتحرقى القلب..

..هم.. ابتسامتهم.. نورهم.. طهارتهم.. تحاول
تصيري.. أحيائي من جديد..

... عفاف ماتت بموتكم.. رحلت برحيلكم.. توقفت
أجهزتها بتوقف أجهزتك.. قتلت كما قتلتم.. لكن
ليست بشهيدة مثلكم.. سوى هذا الاختلاف...

لحق بنا الفجر... زارنا الفجر.. عليكم صليت..

..كسوتكم ببياض.. البياض قماشاً يشبه الكفن.. من
خزانة أُمي أخرجته..

... القماش الأبيض خبأ كجهاز لي.. كشيء خبيثه
أم عفاف عندما يحين زواج البنت الوحيدة..

.. بما أن لا زواج.. لا حاضر.. لا مستقبل لعفاف..
لا غد كما أرغب..

... بالقماش قصيت القماش الطويل.. القماش
العريض.. كم صاحب متر هو لا أعرف.. فصلته

على مقاس كل واحد على الأرض مستلقي .. ينتظر
حملة لقبره ..

... كل جثة .. كل شهيد ملقى .. لا اغتسال .. لا
تغيير لملابسهم ... مباشرة قمت بلف الأبيض
عليهم.

.. من نفس القماش خيوط سميكة شكلت .. كفنتهم ..
ربطتهم ..

... لم أستطع اخفاء النور الساطع .. النور الذي
أضاء البيت في ظلمته ... لم أتمكن من القاء الستار
على الابتسامات القوية الشديدة .. الجالبة للراحة
والهدوء لي .. ولو لبعض الوقت .. أدري أنه مؤقت
.. وبتوقيت ظئيل جدا لا يحسب .. كالبرق يمر ..
كصوب السهم مر ..

صليت .. دعيت .. ترجيت .. الرب طالبت .. بأن
أخرج معهم طالبت .. الى السماء العليا نكون
تمنيت ..

شجاعة عفاف جدا.. ذات جرأة لا تقاس هي.. لا
توصف كانت...

.. الألم شجعني.. الحزن جريئة جعلني.. نار
الانتقام بلا خوف لحظتها كنت..

.. بكرامة .. باحترام.. بأناقة .. ب.. أردت خروج
أحبائي من البيت الذي صار تعيس قتيل.. قاتل من
ليلة احتفال..

... بكرامة .. باحترام.. بأناقة .. ب.. الى قبرهم ..
بيتهم الجديد.. حياتهم الأخرى يرحلون .. يذهبون..
قمت بما استطعت القيام به.. لم أبخل.. بخت على
روحي بالانضمام الى أرواحهم والذهاب معهم..

... كانوا يشعرون بي.. عين أُمي دمعت..

بساعات.. بعد ساعات طويلة.. وصعبة..

اندق الباب .. الطارق من الجيران.. من الأقارب
.. من ...

... المراسيم الأخيرة هم أكملوها عني.. لم أشتكي..

.. أرادوا المبادرة.. المساعدة.. أصرروا على

توقيفي الى هذا الحد.. فالأتي ليس من

اختصاصي.. ليس من قدرتي.. ليس من المسموح

لي.. العرف.. عادات.. تقاليد وقبلهم دين.. الى

الوراء أرجعوني..

... حملوهم.. وأنا أسقط أرضا.. رفعوا..

.. كأن حمامات كانوا يحملون.. وعفاف ثقل الأثقال

التي بالكون عليها نزلت..

.. رددوا.. رددوا.. " الشهيد حبيب الله" .. " الفائز

الشهيد" .. رددوا.. رددوا.. أمرتهم.. طلبت منهم..

ألحيت فلبوا.. لبينا..

... من البيت .. الى المقبرة. اللسان .. الفم لم ينغلق

.. لم يتوقف عن تكرار .. عن قول الكلمات

الأربع..

... مشيت.. ورائهم أسير .. كنت .. كيف مشيت؟
... هل عندي أقدام فعلا؟ .. لم أشعر بهم.. لم أحس..
بالأحرى لم أراهم..

... لم أزد دخول المسكن الثاني.. مسكنهم الأبدي ..
الأخير للأحباب..

.. خارج المقبرة بقيت.. فضلت المشاهدة من البعيد
البعيد..

.. العين منعنتي.. القلب منعني.. الروح كانت
تموت .. تحتضر.. والحين هي كذلك.. الحركة
مني غادرت .. عاجزة كل العجز عن اظهار ردة
فعل..

...كنت .. مازلت .. مازالت الصدمة تربطني ..
فكتني الحين يا روح عفاف.. الآن أطلقت
سراحي.. وها أنا مسرعة للهرب قبل أن أربط
ثانية.. منها من غيرها دعينا بعضنا أيتها الروح
بالسرعة.. نسرع في الهروب..

... الحواس عندي لا وجود لها.. ماتت.. من ليلتها
الى هذه الليلة...

ما أقصاك يا زمن.. ما أقصاك.. ما أقصاك يا حياة
.. ما أقصاكي ..

... ما أصعب عالمك.. وضعك يا سوريا الحين..
ما أصعب..

عشت.. لم أعش كما أردت .. كما حلمت.. كما
رسمت..

وهل بقي سوري بأرضه.. بأرض سوريا يحلم...

عدت لبيتنا.. بقيت القليل ورحلت.. لا أتذكر كم
بقيت.. لا أتذكر.. سوى ليلتي.. مجزرة الواحد من
شهر ثلاثة أتذكر.. ما بعد ليلة احتفالي لا أتذكر.. لا
أريد التذكر..

...طيلة هذا الوقت في الأزقة المدمرة أسير.. من
قرب الأسوأ من حالتي أشاهد.. أشاركهم.. بالرجوع
للماضي.. فأتذكر.. يزيد ألمي.. وأهجر أكثر..

أغوص أكثر في بئر الذكريات .. فأرفض العيش
والاستمرار بالحياة .. فيزيد تمسكي بالرحيل
الأبدي ..

... كم عبرت الدمار .. الصراخ .. جنازات ..
حريق ...

الموت كان قريب مني .. من ليلتها هو قريب جدا ..
... الموت بجانبني ومعني ... الموت كان يمنعني
قصدا أظن من الموت ...

... رميت نفسي للموت والموت يسحبني .. يعيدني
للوراء .. ترجيت .. كلمت .. توصلت الموت وهو لم
يسمعني .. قد يكون تقصد أن لا يسمعني .. النتيجة
لم يسمعني .. لم يلتفت الي بتاتا ...

عاجزة أنا عن مساعدة نفسي .. عاجز الموت عن
مساعدي .. عن اراحتي .. عن انهاء ألامي ...

... ياااااه كم الحياة ... كم اعداء الحياة .. محاربي
السلام .. الأمن والأمان .. يهون عذابي .. عذابنا ..
تخطي ..

وطني يا وطني .. سوريتنا .. سوريا يا وطني ..
... من نلوم يا وطني .. من السبب يا قومي .. يا
أمتي .. يا أهلي يا ناسي ..
حملنا السلاح من أجل من .. ما الهدف .. لماذا؟ ...
... باسم من نجاهد .. باسم من نقتل .. ندمر ..
نحارب ..

... أين اختبئت العاطفة و الشفقة ..
تخلينا عن كل اللذات .. عند لذة القتل .. الاجرام
أديننا السلام .. ويمين البقاء ..
... من سرق منا النخوة .. العروبة .. الدفاع عن
الحق .. البعد عن الظلم والاضرار ..

كيف وصلنا الى كل هذا؟ ..من أجل من .. ما
الهدف؟ .. ما الغاية؟ .. ما المطلوب؟ ...

كل شيء ممنوع.. المسموح صار ممنوع..

... سوى القتل .. الذبح .. سفك الدماء .. وحتى هتك
العرض .. مباح .. مسموح .. حلال ..

الحرية ليست من الحقوق عند خائنك يا وطني..

يا شعب.. الحرية من متاعات الدنيا.. من
المحرمات.. من لا ضروري .. فلا تطلب.. لا
تجاهد.. من اجل الحرية ..

حزن سكن.. يسكن قلبي.. قلب اخوتي بالوطن..
قلب الملايين.. تألمنا.. نتألم.. لازلنا.. اعتدنا..

...دموع حبست بالعيون.. بعيني التي رأت .. لا
تزال ترى الأبرشع.. الأصعب.. ال...

بشاعة اجرام طبقت على أحبائي.. على أهلي..
على كل من بهذه الأرض التي تحترق..

الرقبة قطعت.. سقط الرأس .. تفجر البطن.. ثقب
القلب.. الصدر .. الجبين .. ال .. شاهده عفاف..

... مارسها... طبقها الذي ليس له علاقة معنا..
معهم .. معي شخصيا..

بسكين كبير .. بسلاح .. علينا اقاموا الحد ..
بوجودي .. بوجودنا .. بالملك .. بالخاص بنا..
بالمكان..

رأيت.. أروني .. الكل بسوريا يرى .. يطبق
عليه.. جريمة آخر زمان..

..بدأت الأرواح تخرج باختفاء الأمن.. مع موت
الضمير.. ال.. والمتسبب بسهولة غاب.. رحل..
وسوريا بكل لحظة تودع الأبناء.. وأجمل
الفرسان..

قصتي أنا.. قصتهم.. جثثهم بينت .. تبين دوما
معدن الفاعل .. والحكم بالبيان..

...مشهد الموت .. بعد الموت .. يلفت انتباه
الحاضرين كان .. عند العقاب للمظلوم .. البريء ..
الكل غاب .. يغيب .. بعدها المهتم بالأخبار .. بالجدید
يلتقط صور مصدر البرهان ..

... أرواحنا البریئة تقول .. لا داعي لتطبيق
سيناريوهات الأفلام .. فالحقیقة .. حقیقتنا تفوق نطق
أي كلام ..

.. ضاعت الانسانية .. حتى اعدمت قواعد
الاسلام ..

قصص الشهداء .. حوادث استشهادهم لم تنشط ..
مخدر كانت للأجسام .. رغم أن الشهيد حبيب الكل
.. أنفسكم .. الحين .. ربط مقدمة الأقدام ..

... أأأأأه يا عدو .. أأأأأه يا من يراها ويصمت ...
أأأأأأأأه يا من بيده قوة .. ضدنا يوظفها .. لا معنا ..
لا لصالحنا ... لا لانتقادنا ...

الاستعداد للرحيل .. ليس هناك من يمنعني ..
سأطلق من هذه الحياة ...

... طلقيني أيتها الحياة .. طلقيني.. طلقي يا روح
عفاف الجسد بالثلاث ... طلقيه...

..أنا والروح .. أنا عفاف بالسطح المسطح... أقف..
مستعدة ...مهياة للرمي.. للنزول الى الأسفل
البعيد....

...قررت الانتحار .. لا مفر .. لا مخرج..

.. يا ربي سامحنا... روعي وأنا تعبنا...سامحنا..

... ادعوك .. اطلب منك ... بالله لا تعذبنا... فقد
عذبت .. اكتفت الحياة بتعذيبي.. أكتفى من بهذه
الدنيا بالحاق العذاب بي...اليوم وغدا..عذبتني
الدنيا عندها.. سبقت عذابي بعدي عنها...بعدها..

... لن أراجع... عن الانتحار لن أراجع...

... لا أقوى على الرجوع...لي قوة على الرحيل
الحين .. نعم...

... انتهى وقتي... انتهى عمري...

عد يا موت عد.. فلن تمنعني ... لن تعيدني
للحياة... ها أمد يدي لك .. أمسكها يا موت ..
أمسكها.. خذ الروح.. عجل.. نجني من مخلفات
الانتحار...

أريد من يرحمني.. أين رحيمي.. اظهر رجاءا..
الحق خطئي وأكبر ذنبي...
دعينا أيتها الروح لا نطيل استرجاع ما مضى...
... لا نطيل البقاء.. نلحق.. نسبق الآتي.. نجري..
نجري .. بسرعة نجري..

ظل انسان من بعيد أرى.. ألمح.. لست متأكدة..
قادم نحوي.. الى اتجاه آخر يسير.. لا أتمكن من
التحديد.. من التركيز ..

... لا يهمني... لا يهمني...

مهلا ... مهلا.. ساظهر نفسي.. أدعه يراني.. فقد
يكون هذا رحيمي.. مخلصي.. الباعث بي الى

القبر.. جاء من أجلي.. ليس من اجلي .. الأهم جاء
.. قد يكون المسبب.. السبب في أخذي الشهادة ..

... حل محل الظل ضوء.. رجل.. دعيني أقول
شابا.. من ورائه ظل.. وظل.. وظل.. رجال
يتبعونه..

... قريب من مكاني صار.. أظن أنه لم يراني
جيدا.. لم يحدد جنسي.. نوعي..

.. شاهدي.. شأهده.. حمل سلأهه.. صوبه
نحوي.. أغمضت عيني.. وأنا أهب للمغادرة
والذهاب الأبدي..

على حافة سطح بيتنا الذي غبت عنه.. هأجرته
طويلا..

... وأقفة كنت.. رصاصة دخلت قلبي.. لأققتها
الأنية مباشرة في نصف جبيني.. جاء الموت
معهما... طارت روح عفاف عاليا تاركة الجسد
سقط أرضا.. سألت الدماء منه.. تكسر.. تشوه..

لا فرصة للانتحار.. للتفكير بالانتحار حتى
بسوريا.. فالقتل كالمطر بالشتاء

... صمدت طويلا.. كثيرا.. كثيرا...

من صمودي الى بلدي .. الى من بقي بعدي من
السوريين .. أناديهم .. أورثهم .. أوصيهم بالصمود
..

... أصمدي يا سوريا.. اصمدي يا سوري..

أيها القادرون قلوب الأسود

أيها الواقفون عند المحن

أيها المرسلون من الحدود

بعقول أرواح دامية للعطاء

أيها الصابرون لمكرهات الوجود

انحنوا لتوسلات هذا الوطن

كالعبد للرب والسماء للرعود

يا حماة أرجاء سوريا

يا مفجري قلب الحشود

سوريا يا حاميها تناديك

سوريا ستكشف جوهر الزنود

يا حكام الصبر والقلوب

يا مملكة الفدى والخلود

فجروا دمرُوا أشعلُوا الصبر

كافحوا أصمدوا حققوا العهود

استرجعوا الأمل أعيّدوا سوريا

أطرقوا أذكروا تاريخ الجدود

تقدموا علقوا أعلام البطولات

ازرعوا البسمة وأحيوا المولود

سارعوا الحقوا الظالم العدو

أخطفوا النصر من عدو يهود

أقتلوهم أقبروهم هيا أخرجوهم

أسكبوا املئوا بالدم السدود

الأرض أرضنا وسوريا سوريّتنا

واقطعوا لسان الكذاب من الوعود

فسوريثنا بالروح بالدم تعيدوا

هيا أنشروا خطاب الردود

اتجهوا للحرب هذه الحرة

سوريا

هيا أصمدوا فأنتم معلمو الجنود

هكذا تجيبوا نجيب نفس العدو

نزرعوا نبقوا سوريا بالقلوب

هيا انضموا تقدموا فأنتم الجنود

أيها... لا تشكوا المضيقا